T.C.
FIRAT ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TARİH ANA BİLİM DALI

SCIENTIFIC ACTIVITIES DURING THE ERA OF SALAH AL-DIN

الأنشطة العلمية في عهد صلاح الدين الأيوبي

YÜKSEK LİSANS TEZİ

DANIŞMAN **HAZIRLAYAN**
Doç. Dr. Taner YILDIRIM **JASIM QASIM QADER QADER**

ELAZIĞ-2018

T.C.
FIRAT ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TARİH ANA BİLİM DALI

SCIENTIFIC ACTIVITIES DURING THE ERA OF SALAH AL-DIN

الأنشطة العلمية في عهد صلاح الدين الأيوبي

YÜKSEK LİSANS TEZİ

DANIŞMAN
Doç. Dr. Taner YILDIRIM

HAZIRLAYAN
JASIM QASIM QADER QADER

Jürimiz'... … … tarihinde yapılan tez savunması sınavı sonunda bu yüksek lisans tezini oy birliği / oy çokluğu ile başarılı saymıştır.

Jüri Üyeleri:

1.

2.

3.

F.Ü Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun … … tarih ve … …. Sayılı kararıyla bu tezin kabulü onaylanmıştır.

Prof. Dr. Ömer Osman UMAR
Sosyal Bilimler Enstitüsü Müdürü

الملخص

اطروحة الماجستر

الأنشطة العلمية في عهد صلاح الدين الأيوبي

جاسم قاسم قادر قادر

جامعة الفرات معهد العلوم الاجتماعية

قسم العلوم التاريخية

2018 -العزيز ص . VII+114

عند ذكر أحداث من العهد الأيوبي و عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي بالأخص، يتطرق معظم المؤرخين لعهد البطولات الاسلامية و فتح القدس و معركة حطين، والقليل من الباحثين في تاريخ العهد الوسيط يتطرقون للجوانب الثقافية والعلمية والاجتماعية في ذلك العهد السريع و القصير، والذي تميز بسرعة جريان الأحداث من سقوط سلطانات و دويلات و ظهور سلطانات و دويلات جديدة في العراق و بلاد الشام و مصر.

واتسم العهد الأيوبي بشكل عام و عهد صلاح الدين الأيوبي بشكل خاص بعوالم و شواهد النهضة الحضارية، فقد انتشرت في عهده المدارس والمعاهد الدينية ودور التحفيظ، وقد شهدت الحركة العلمية على يديه ازدهارا كبيرا، فضلاً عن دعمه للعلماء ولطلاب العلم.

وإلى جانب ذلك خلّد العهد الأيوبي معالماً تاريخية هامة وصل أكثر ها حتى يومنا هذا كالزوايا و المدارس والمساجد والجوامع, والبيمارستانات و ماشابه ذلك من صروح حضارية هامة.

لذلك يمكننا أن نستنتج و نقول بأن العهد الأيوبي كان بالأكثر عهد نهضة و ازدهار في تاريخ الحضارة الاسلامية إلى جانب كونه عصر استفاقة و عهد وحدة اسلامية في وجه الحروب الحملات الصليبية ذلك الحين.

الكلمات المفتاحية : صلاح الدين الأيوبي - الدولة الأيوبية - الحضارة - الحركة العلمية - الحملات الصليبية .

ÖZET

Yüksek Lisans Tezi

Selahâddîn-i Eyyûbî Dönemi Bilimsel Faaliyetler

JASIM QASIM QADER QADER

Fırat Üniversitesi
Sosyal Bilimler Enstitüsü
Tarih Anabilim Dalı
Elazığ-2018; Sayfa: VII+114

Eyyûbiler devletini ele alan tarihçiler özellikle Selâhaddîn-i Eyyûbi dönemine ayrı bir değer atfetmektedirler. Zira, Kudus'ün fethi ve Hıttın savaşı ile Selâhaddîn-i Eyyûbi İslam dünyasında farklı bir konumdadır. Selâhaddîn-i Eyyûbi döneminde yaşanan siyasi gelişmelere ek olarak, ortaçağ tarihçilerinin bir kısmı bu dönem ile alakalı; kültürel, bilimsel ve sosyolojik olaylara da ayrı bir yer vermektedirler. Irak, Mısır ve Bilad'ul Şam bölgesinde birçok küçük devletçiğin ortaya çıkışına ve yok oluşuna şahit olunulan bu dönemde, Selâhaddîn-i Eyyûbi bilime ve bilim insanlarına destek vererek bir çığır açmıştır. Bu dönemde dini ilimlerin yanı sıra beşeri-fenni ilimlerin okutulduğu medreselerin sayısı oldukça artmıştır. Eyyûbiler ve özellikle de Selâhaddîn-i Eyyûbî devrine ait günümüze ulaşan eserler içerisinde yer alan zaviye, medrese, cami, mescid ve bimaristan gibi yapılar, bilim ve kamu yararına hizmet veren önemli varlıklar olarak göze çarpmaktadır. Selâhaddîn-i Eyyûbî dönemi her ne kadar haçlılara karşı üstün mücadelelerin sergilendiği bir evre olarak telakki edilsede aslında Orta Doğuda bilimsel faaliyetleri açısından yükselişe geçen bir İslam devletinin izlerini de taşıması bakımından oldukça önemlidir.

Anahtar Kelime: Selâhaddîn-i Eyyûbi - Eyyûbi Devleti - Uygarlık - Bilimsel faaliyetler - Haçlı.

ABSTRACT

Master Thesis

The Fall of the Fatimid Caliphate

JASIM QASIM QADER QADER

Fırat University
Institute of Social Sciences
Department of History
Elazığ-2018; Page: VII+114

When mentioning the events of the Ayyubid era and the reign of Sultan Salah Aldin Alayubi in particular، most historians address the era of Islamic tournaments and the conquest of Jerusalem and the battle of Hittin، and a few researchers in the history of the Middle Ages address the cultural، scientific and social aspects of that rapid and short period، which witnessed the rapid flow of events such as the fall of sultanates and states and the emergence of new sultanates and states in Iraq and the Levant and Egypt. The Ayyubid era in general and the era of Salah Aldin Alayubi، in particular، was characterized by the signs of the cultural renaissance. In his reign، the schools and religious institutes and the role of Schools of memorization of the Koran، and the scientific movement witnessed a great prosperity، as well as its support for scholars and students of science. In addition، the Ayyubid era has witnessed important historical milestones، most of which have reached the present day، such as the corners (Zawaya)، schools، mosques، and the Hospital (The Bimarstanat) and other important edifices of civilization. Therefore we can conclude that the Ayyubid era was the most renaissance and prosperity in the history of Islamic civilization as well as being an era of reconciliation and the era of Islamic unity against wars and the crusades.

Keywords: Salah Aldin Alayubi - Ayyubid State - Civilization - Scientific Movement - Crusades.

المحتويات

الملخص.....II
ÖZET.....III
ABSTRACT.....IV
المحتويات.....V
الإختصارات.....VII
مقدمة.....**1**
تمهيد.....**7**

الفصل الأول

1. حياته.....9
1.1 ولادته ونشأته.....9
2.1نشأته العلمية.....13
3.1وفاة صلاح الدين الأيوبي.....17
4.1 تقواه وعبادته.....18
5.1 عدله ورحمته وتواضعه.....20
6.1 شجاعة صلاح الدين وصبره.....21
7.1 حلمه وعفوه.....23
8.1مروءته.....24

الفصل الثاني

2. علاقة صلاح الدين الأيوبي بالعلم و العلماء.....**29**
1.2مفهوم العلم.....29
2.2 صلاح الدين والنهضة العلمية.....33
3.2جهود صلاح الدين في إحياء المذهب السني في مصر والشام.....46
4.2 جهود السلطان صلاح الدين العلمية و علاقته بعلماء و مفكري عصره.....63

1.4.2جهوده في طلب العلم و المؤسسات التعليمية 67
1.1.4.2المدارس 70
1.1.1.4.2المدرسة الناصرية 76
2.1.1.4.2المدرسة القمحية أو مدرسة دار العزل 77
3.1.1.4.2المدرسة الاصلاحية 77
4.1.1.4.2المدرسة السيوفية..... 78
5.1.1.4.2مدرسة عكا..... 78
2.1.4.2الخوانق 82
3.1.4.2الخانات..... 82
4.1.4.2المساجد و الجوامع..... 83
5.1.4.2البيمارستانات 84
6.1.4.2الربط و الخانقهات والزوايا 85
7.1.4.2الكتاتيب 87
8.1.4.2المكتبات 88
2.4.2 علاقته بعلماء و مفكري عصره..... 89
1.2.4.2علاقته بالاطباء 91
2.4.4.2 علاقته بالمؤرخين 95
3.4.4.2 علاقته بالادباء و الشعراء..... 97
4.4.4.2 علاقته بالفقهاء 100
5.4.4.2 علاقته بالفلاسفة..... 102
الخاتمة 105
قائمة المصادر والمراجع 107
EKLER 113
Ek 1. Orijinallik Raporu.....113
السيرة الذاتية. 114

الإختصارات

أ. : أستاذ

ت : تحقيق

جـ : جزء

د. : دكتور

ص : صحيفة

م : ميلادي

هـ : هجري

مقدمة

قبل البدء في الحديث عن حياة السلطان المجاهد صلاح الدين الأيوبي أود أن أشير إلى الحقيقة التي روى لنا التاريخ عبر العصور والأزمان والحقيقة التي أريد أن أذكرها هي: أن الإسلام قدم وصنع لنا أشخاصاً عظماء استطاعوا أن يغيروا التاريخ من الظلم إلى العدل ومن الجور والاستبداد إلى الحرية والسلام وهؤلاء الأشخاص الذين عاشوا على مائدة الإسلام هم الذين خرجوا الناس من طغيان الكفر إلى أمان العقيدة الإسلامية النقية، ومن ظلمات الشرك إلى نور الإيمان والعقيدة الراسخة الصافية من أكدار الوهم والشك الظنون، وهم الذين شاركوا في بنيان الإسلام بأموالهم وأنفسهم ودمائهم، وهم الذين قدموا لنصرة الإسلام بجميع ما لديهم، وبذلوا جهداً كبيراً حتى وصل الإسلام إلى بر الأمان، وهم الذين صنعوا حياة سعيدة لجميع الناس للمسلمين وغيرهم من الأديان والأقوام ولجميع الخلق، ومن هؤلاء الأشخاص البارزين بين ظهرانية التأريخ هو القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي وهو البطل الذي إنكسر تمثال الشرك والأباطيل والخرافات، وهو الذي استطاع أن يدمر بنيان عقيدة اليهودية والصليبية والفاطمية وكل من ظاهر وبين عدأوته للإسلام والمسلمين، وهو من شخصيات البارزة الذي نصر الحق في عصره كما نصر الإسلام على يده ويد جنوده وعساكره، إننا اليوم في حاجة ماسة في إعادة النظر تجاه هؤلاء العظماء، حقاً علينا أن نحترم تاريخهم وجهودهم الفكرية والعسكرية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية والإنسانية، يا ليت للتاريخ أن يعود علينا مثلهم حتى ينتهي الظلم والاستبداد الفكري والسياسي القذرة والطغيان والقتل والهدم وسفك دماء الابرياء من الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة في مملكة المسلمين كل يوم تحت اسم ومسميات متنوعة، وتحت رايات مختلفة وجبهات متنوعة.

صلاح الدين الأيوبي هو من أشهر القيادات المؤثرة في العالم عموما و على المستوى العالم الإسلامي خصوصاً وهذا ما جعل العلماء والباحثين في الجوانب

الحربية و فنون القتال وكذلك جعل المؤرخين والمثقفين وعلماء الاجتماع ان يقوموا بالبحث والدراسة عن حياته.

صلاح الدين الأيوبي كان قائداً ميدانياً في الحروب، ومع هذا كان في عهده للعلماء قمة العزة والاحترام. هذا القائد رغم كونه قائداً مغواراً كان ذا قلب حنون وعطوف تجاه الإنسانية ولم يجعله قيادته وشجاعته يوماً ما ان يكون ظالماً أو محتلاً أو مدمراً للقيم الإنسانية.

كما كان هذا حال كثير من القيادات غير صلاح الدين كان قائدا بعيداً عن التعصب القومي الذميم كان ينظر إلى العرب والكرد والترك والفرس نظرة أخوة. ومع كل أسف لا يكاد اليوم يوجد قائد كمثله في العالم.

تعد الدراسة عن مجاهد صلاح الدين الأيوبي في التاريخ من المواضيع البالغة الاهمية و مكتب الإسلامية و غير الإسلامية بحاجة ماسة إليها، فالأبحاث في التاريخ ما زالت في مراحلها الأولية فيما يحض تاريخ هذا القائد الفذ الذي نطيره و سجل التاريخ اسمه في أوسع أبواب، إذا ما أخذنا حقيبة التاريخية التي عاش فيها.هذا و مما تجد الاشارة إليه، ان بعض الجوانب من تاريخ صلاح الدين الأيوبي قد نالت قسطا من الإهتمام، و سيما السياسية و العسكرية والفكرية منها، و هذا ما دعاني و شدني إلى اختيار شخصية كرجل عصر، الذي قاد الجيوش الإسلامية و ليست القومية لتحرير ارض الشام من دنسى المحتلين الصليبين الممتثلين.

صلاح الدين الأيوبي هو من أشهر القيادات المؤثرة في العالم عموماً و على المستوى العالم الإسلامي خصوصاً و هذا ما جعل العلماء والباحثين في الجوانب العربية و فنون القتال و كذلك جعل المؤرخين و المثقفين و علماء الاجتماع أن يقوموا بالبحث والدراسة عن حياته.

العلماء و في عهد صلاح الدين الأيوبي لهم قيمة العزة و الاحترام رغم كونه قائداً مغواراً كان قلب حنون و عطوف تجاه الإنسانية و لم يجعل قيادته شجاعته يوماً ما ان يكون ظالماً أو محتلاً أو مدمراً للقيم و الإنسانية، كما كان هذا حال من القيادة غير

صلاح الدين كان قائداً بعيداً عن التعصب القومي و هو ينظر إلى العرب و الكرد والترك و الفرس نظره أخوة و مع كل أسف لا يكاد يوجد قائد كمثله في العالم.

تعد الدراسات التاريخية في مجال النشاط العلمي من الدراسات المهمة حيث تلقى الضوء على جانب من جوانب تاريخ الحضارة الإنسانية،و الجهود التي بذلتهما الشخصيات البارزة في سبيل النهضة العلمية والفكرية خدمة الإنسانية لا سيما ان الباحثين قد تركزت جهودهم نحو تسجيل النشاطات السياسية والعسكرية، فتوفرت فيما غريزة واسعة،حتى اتجه الباحثون إلى دراستها من جوانبها المختلفة لذا كان دراسة النشاط العلمية والفكري في عصر صلاح الدين الأيوبي.

في هذا البحث سلطت الضوء على أهمية العلمي و العلماء و المفكرين المسلمين في العصر صلاح الدين الأيوبي.

وقد أدرك سلاطين الدولة الأيوبية دور العلم والعلماء في النهضة الأمم، فأخذ العلماء مكانتهم المرموقة في دولتهم، و نشطت في أيامهم الحركة العلمية في الشام و مصر في سبيل الاعداد لإتمام حركة الجهاد الإسلامي.

في عصر صلاح الدين الأيوبي العلماء و المفكرين لهم دور كبير و البارز في الأحداث المعاصرة خاصة وأن الامة الإسلامية قد تكالب عليها الاعداء، سواء من داخلها من الفرق المنحرفة دينياً أو اجتماعياً أو سياسياً، أو من خارجها كالصليبيين و غيرهم، فحرص العلماء على الوقوف بجانب الأمراء و السلاطين من أجل توحيد الامة و الجبهة الإسلامية ضد الاعداء المتربصين بها، و يعد العصر الأيوبي امتداداً لهذا العصر في حمل راية الجهاد والعلم لأنهما أمران متلازمان.

ولقد كان من أهم الأمور التي دفعتني للكتابة عن الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، والدور الذي أدته في المجتمع الإسلامي ما لهذا الموضوع عن أهمية في مجال الدراسات الحضارية، و ما تبرزه من صورة مشرقة لحضارة الإسلام، وقد وقع اختياري على الدراسة أهمية العلم و العلماء والمفكرين و المدارس الدينية في عصر قائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي.

ذلك لأنها كانت مثالاً رائعا للدولة الإسلامية المجاهدة لصد الهجمات الصليبية على العالم الإسلامي،محاولاً ابراز دور العلماء و طلابه في هذه الأحداث الهامة، وما قاموا به من بيان واجب الجهاد، و إلهاب روح الحماس في الأمة على مستوى الأمراء و السلاطين و العامة، لحماية الدولة الإسلامية والوقوف مع الأمراء و السلاطين في جهادهم، إضافة إلى ان العصر الأيوبي يعد من أنشط العصور إهتماما بالحركة العلمية، و ذلك لأن الأوضاع العامة تشير إلى حسيسة الفترة، و أهمية دور العلماء لاستكمال حركة الجهاد، و لهذا لقى العلماء في هذا العصر من الرعاية و الإهتمام لدى سلاطين الدولة و عامة الناس الشئ الكثير، فكان لذلك أثر كبير في نشاط الحركة العلمية، واجتماع جمهرة كبيرة من العلماء في كافة العلوم لا سيما في كل بدلأن مسلمين. ولا شك أن عصر الأيوبي يعد العصر الذهبي لكل مدن الإسلامية خاصة دمشق حيث مرت بأزهى عصورها و شهدت خلاله نهضة علمية كبيرة، و أسست فيه أكثر أماكن التعليم و خصوصاً مدارس الحديث والمدارس الفقهية التي زاد عهدها أوقافهما وقصدت طلاب العلم من أرجاء العالم الإسلامي.

و يكمن في أهمية هذا الموضوع والبحث في أنه من الموضوعات التي تحظى بأهمية بالغة في حياة كل فرد من المسلمين والمؤمنين، وذلك لأنه لا أحد من الناس إلا ويتمنى رؤية النصر وخروج الناس وأفراد المجتمع من الظلم والطغيان والإستبداد إلى أمان السلم والسلام والعلم والتعلم والحرية والثقافة والحياة السعيدة، وعندما يتدبر المسلم عاقبة الطغاة والمتكبرين حين ذاك يعرف معنى الحياة والحرية والعيش والسلم والسلامة ويرى حين ذاك جمالات الحياة، عند غروب فلسفة الظلم والقتل والإبادة وسفك الدماء والحرق والغرق حين ذاك يعرف كل فرد معنى شجاعة الأبطال والمجاهدين الذين قدّموا بأرواحهم ودمائهم وأموالهم كي يرفرف علم الحرية والإنسانية وحقوق جميع ما في الكون من الإنسان وغيره من الحيوان والأشجار والأحجار، يعترف التاريخ والمؤرخون في كل العصور والأزمان بأن الإسلام وقوانينه وشراعه ومجاهده وأبطاله في كل وقت وحين استطاعوا وأرادوا أن يرفعوا ويزلوا ويتحطم بناء

الطغيان والكفر لكي يعيش الناس في جوء مليء بالأمن والأمان وهم حرموا على أنفسهم قطع الأشجار وتدمير منافع العامة والخاصة وقت الحرب.

أهمية الموضوع وحاجة كثير من الناس بشكل من الأشكال إليه، فقد لاحظت أن مظاهر عدم القراءة الواقعية والعلمية للتاريخ بشعور سليم وكذلك الظلم والغدر الواضح من بطولة المجاهدين المخلصين الأتقياء ومن صفحات الإسلام والمسلمين لكون ذلك نرى أهمية هذا البحث.

وأيضاً عدم اطلاعي على كتاب خاص يضم أطراف هذا الموضوع،لا يعني ذلك بأن هذا البحث هو الأول على هذا الشخص البارز في الإسلام وإنما كثير من المؤلفين والمؤرخين والدارسين والكاتبين والمفكرين إجتهدوا في هذا المجال، وهذا هو مما دفعني إلى البحث فيه والكتابة عنه، لكي أوفي هذا الموضوع حق الوفاء.

عناية علماء التاريخ والسير ببيان جهد وجهاد بطل الإسلام والمسلمين صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى.

عناية وإهتمام كثير من كتب التاريخ والسير بهذا المجال، ولذلك أحببت أن أتكلم عن هذا الموضوع من خلال التاريخ وغيره.

كثرة الدراسات حول موضوع صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، إذ كثير ممن كان قبلنا من العلماء الأجلاء والأساتذة الكرام كانوا يجتهدون ويبذلون جهدهم حول هذا الموضوع وإننا قمنا بتغير فإننا قد تابعنا متابعة دقيقة الموضوع ووصلنا إلى هذه الحقيقة بأن العنأوين السابقة لن تشابه هذا العنوان.

وإن البحث والكلام عن قائد شهير وفعال أمثال صلاح الدين الأيوبي له أهمية كبيرة للمجتمع البشري في هذا العصر المشوب بالمصائب والميحن، لأن هذا القائد كان له اليد الطول في جميع ميادين الحياة ما جعل من أعداءه يعترفون بشجاعته وكرامته وتسامحه كما يعترف به محبوه. تاريخ ونضال وحياة هذا القائد كان مليئا بالصدق والجمال أمام أصدقائه وأعدائه اخترت حياته للبحث فيه لأن اي قائد مهما كان شجاعاً وفناناً في ميادين القتال إذا لم يكن في باله الإهتمام بالعلم والأعمار والتنمية فهذا يكون وصمة عار على جبينه في التاريخ نضاله، في حين ترى ان حياة صلاح الدين الأيوبي

كان موضوع بحث لآلاف من الكتاب والمؤرخين القدامي والجدد. حيث قاموا بكتابة ألاف من البحوث الإقليمية والدولية حول حياة صلاح الأيوبي.

و الهدف الرئيسي لهذا البحث هو تبيان النموذج الحضاري والإنساني في شخصية القائد صلاح الدين الأيوبي.

ولتحقيق هذا الهدف كان لابد من العودة إلى ينابيع الماضي في سيرة صلاح الدين، الاعتماد على عدد من الدراسات التحليلية المعاصرة، للوصول إلى أهم سمات هذه الشخصية من الناحيتين الإنسانية والحضارية.

وفي نهاية هذا العمل المظني أتقدم بالشكر والامتنان لبعض الشخصيات البارزة الذين قاموا بمساعدتي وأولهم الأستاذ والمشرف على البحث د. تانير يلدرم لتعاونه و مساعدته و معاملته اللطيفة معنا و ارشاداته الدقيقة وملاحظاته القيمة، و كما نتقدم بالشكر أيضاً الصديق المقرب استاذ ادريس سكتاني و دكتور ئاكو في جامعة (كوية) و الأستاذ عوبيد, وأتشكر شكر خاص للأخ أيهم المحلي الذي قام بمساعدتي في أصعب مرحلة و التي كانت طباعة البحث.

وأخيراً أشكر زوجتي و جميع الاصدقاء والاساتذة الذين قدموا لي كل الدعم والتشجيع في أن أقدم هذا البحث.

تمهيد

يدور موضوع هذا البحث أولاً مقدمة موجزة تناول فيها أهمية الموضوع والبحث وأسباب إختيار البحث والغاية والهدف في إختيار البحث ومشكلة البحث ومنهج الباحث في بحثه، ثم تناول البحث أو يمكن أن نقول بأننا قسمنا البحث إلى ثلاثة فصول وخاتمة وأشرنا في الفصل الأول: تحت عناوين هذه المباحث الآتية:

في الفصل الأول والمبحث الثاني: ركزنا على ولادة البطل صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى، ونشأته العلمية، ووفاته رحمه الله، وفي المبحث الثاني: أشرنا إلى تقواه وعبادته، وعدله ورحمته، وشجاعته وصبره، وحلمه وعفوه، وكذلك في الأخير ذكرنا مرؤة صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى.

وفي الفصل الثاني: رأينا من الضروري أن نضع القلم على موضوع، مفهوم العلم ومشتقاته في اللغة وفي الإصطلاح، وكذلك كتبنا عنواناً: في هذا الفصل ألا وهو: صلاح الدين والنهضة العلمية، وأيضاً: جهود صلاح الدين الأيوبي في إحياء المذهب السني في مصر والشام.

و ركزنا أيضاً على جهود صلاح الدين الأيوبي العلمية وعلاقته بعلماء ومفكري عصره، ففي المبحث الأول: كتبنا على جهوده في طلب العلم والمؤسسات التعلمية، وأسباب إهتمامه بالنهوض العلمي في بلاده، وذكر المدارس التي أنشأها في مصر وبلاد الشام، والمساجد والجوامع، والبيمارستانات، والربط والخانقهات والزوايا، والكتاتيب، والمكتبات، وفي المبحث الثاني: أشرنا وتكلمنا إلى علاقته بالعلماء والمفكرين ومكانتهم عنده، وأيضاً: علاقته علاقته بعلماء ومفكري عصره من الأطباء والمؤرخين والأدباء والشعراء والفقهاء والفلاسفة ومكانة العلماء في عهده.

فعلى الجميع أن يحاول في إحياء حياة وشجاعة وتقوى وزهد هؤلاء الأفاضل الذين إجتهدوا وجاهدوا في جميع نواحي الحياة الإنسانية والبشرية والدينية والإجتماعية والعلمية والثقافية إنقإذا للبشر والمخلوقات كلها.

مهما كان الجهد من قبل الناس من المؤلفين والكتاب وأصحاب الرأي والمؤرخين والرّوّاة في قضاء حقوق هؤلاء العظماء لم يستطيعوا بذلك، وهذا العظيم الذي إلى الأن كان تاريخ الإنسانية مدين له ولجهوده وجهاده وشجاعته وإخلاصه كان هو: صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى وجزاه الله تعالى عنا وعنا المسلمين خير الجزاء، الذي عرف في كتب التاريخ في الشرق والغرب بأنه فارس نبيل وبطل شجاع وقائد من أفضل من عرفتهم البشرية وشهد بأخلاقه أعداؤه من الصليبيين قبل أصدقائه وكاتبوا سيرته، إنه نموذج فذ لشخصية عملاقة من صنع الإسلام إنه البطل صلاح الدين الأيوبي محرر القدس من الصليبيين وبطل معركة حطين.

ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج والإستنتاجات والتوصيات، ثم ذكرت في نهاية البحث أهم المصادر والمراجع التي استقى البحث منها معظم مادته العلمية.

الفصل الأول

1. حياته

1.1 ولادته ونشأته

نسبه الكامل هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب التكريتي، ولد في تكريت في العراق عام 532هـ الموافق 1137 م، وهذه العائلة أقامت في مصر والشام، وعرفت بالدولة الأيوبية، وتنسب إلى عشائرالكرد نسباً وقبيلة، وهذه القبيلة تكنى باسم الروادية، وهي من أكبر القبائل الكردية، ومن هذه الأسرة العريقة في حسبها ونسبها ولد صلاح الدين الأيوبي في قلعة مدينة تكريت، وهي بلدة قديمة اقرب إلى بغداد منها إلى الموصل، ويعتبر صلاح الدين المؤسس الأول للدولة الأيوبية في مصر فقد كانت ولادته في قلعة مدينة تكريت، وكان سابور بن أردشير بن بابك أول من بنى هذه القلعة لما استوطن الهد وهو بلد قديم مقابل تكريت في البرية وقيل: "سميت باسم تكريت بنت وائل. حدثني العباس بن يحيى وهو معروف بعلمه وفضله، قال مستفيض عند المحصلين بتكريت أن بعض ملوك الفرس هم أول ما بنى قلعة تكريت على حجر كبير من جص وحصى كان بارزاً في وسط دجلة، ولم يكن هناك تشييدٌ غيره بالقلعة وجعل بها مسالحً وعيوناً ورباياً تكون بينهم وبين الروم لئلا يدهمهم من جهتهم أمر فجأة، وقد كان بها مقدم على من بها رئيس من قواد الفرس ومرزبان من مرازبتهم فخرج هذا المرزبان يوما يتصيد في هذه الصحارى، فرأى حيا من أحياء العرب نازلا في هذه البادية فدنا منهم فوجد الحي خلوفا وليس فيه غير السيدات، فجعل يتمعن السيدات وهن يتصرفن في أشغالهن فأعجب بأمرأة منهن وأحبها كثيراً فدنا من السيدات وأخبرهن بأمره وعرفهن انه مرزبان تلك القلعة، وتحدث إنني قد هويت فتاتكم تلك وأحب أن تزوجوني اياها، فقلن: تلك فتاة سيد ذلك الحي، ونحن أناس نصارى وأنت رجل مجوسي، ولا يسوغ في ديننا أن نزوج بغير أهل ملتنا، فقال أنا أدخل في دينكم، فقلن له إنه خير إن فعلت هذا ولم

يبق سوى أن يحضر رجالنا ويخطب إليهم كريمتهم، فإنهم لا يمنعونك فأقام إلى أن عاد رجالهن وخطب إليهم فزوجوه فنقلها إلى القلعة وانتقل معها عشيرتها إكراما لها، فنزلوا بشأن القلعة فلما طال مقامهم بنوا هناك أبنية ومساكن وقد كان اسم المرأة تكريت فسمي الربض بإسمها ثم قيل قلعة تكريت نسبوها إلى الربض، وصرح عبيد الله بن الحر و قد كان حدث بينه وبين أصحاب مصعب وقعة بتكريت أعدم بها أكثر أصحابه ونجا بنفسه"[1]

و تعد قبيلة صلاح الدين كما أشرت آنفا من أشراف الأكراد نسبا وعشيرة، وهذه العشيرة تعرف بالروادية[2]، وهي تنحدر من بلدة دوين الواقعة عند آخر حدود آذربيجان بالقرب من مدينة تفليس في أرمينية، وينتسب الايوبيون إلى أيوب بن شادي، ويعتبرهم إبن الأثير أشرف الأكراد، لأنهم لم يجر علي أحد منهم رق أبدا[3] وفضلاً عن نسبهم وشرفهم، ومكانتهم السامية بين القبائل، فقد كان والد صلاح الدين نجم الدين أيوب وعمه أسد الدين شيركوه عندما قدما إلى العراق من بلاد الشام، لم يكونا من الرعاة، وإنما كانا على درجة عالية من الخبرة في الشؤون السياسية والإدارية[4].

وقد كانت مدينة تكريت الواقعة على الضفة اليمنى لنهر دجلة شمالي سأمراء تتحكم في اغلب الطرق الرئيسة المارة بين العراق وبلاد الشام وقد انتقل إليها شاذي مع ابنيه نجم الدين أيوب، وأسد الدين شيركوه، وتدرج في المناصب الإدارية فيها حتى ولي وظيفة الشحنة، ولما توفي خلفه إبنه نجم الدين أيوب الملقب الملك الأفضل، علماً أن أسد الدين شيركوه أكبر سناً من نجم الدين أيوب، وكانا من أهل مدينة دوين، وهي بلد من بلاد العجم قريب من أخلاط، و يتفق على انهما سافرا منها وقصدا العراق

---

[1] ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله الحموي، *معجم البلدان*، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ج2،ص39.

[2] علي بن أبي الكرم بن محمد الشيباني المعروف بإبن الأثير الجزري، *التاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية بالموصل*، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط أولى 1963م، ص. 119.

[3] علي بن أبي الكرم بن محمد الشيباني المعروف بإبن الأثير الجزري، *التاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية بالموصل*، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط أولى 1963م، ص. 119.

[4] تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي ، *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية*، دار صادر، بيروت بدون تاريخ، جـ. 3، ص. 403.

وخدما الأمير مجاهد الدين بهروز الخادم وكان شحنة ببغداد من قبل السلاطين السلجوقية وكانت تكريت إقطاعه فتقدما عند مجاهد الدين وفوض مجاهد إلى نجم أيوب دزدارية تكريت، فسارا إليها ونزلا بقلعتها، فأقاما بها مدة.

ولما وقعت الحرب بين الخليفة المسترشد بالله[5] والأمير عماد الدين زنكي ابن سنقر سنة ست وعشرين وخمسمائة على ما سنذكره وكسر الخليفة عماد الدين زنكي، خدم نجم الدين أيوب أتابك زنكي، وأقام له السفن حتى عبر هناك دجلة، واتبعه أصحابه، وأحسن نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه وصحبته.

وكان هذا أول المعرفة بين عماد الدين زنكي وبين نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه، ومبدأ سعادتهما، ولكل شيء سبب.

ثم جرى لنجم الدين أيوب ما أوجب صرفه عن ولاية تكريت، فقيل: كان السب أن أسد الدين شيركوه قتل إنساناً بتكريت ظلماً، فعزل مجاهد الدين أخاه نجم الدين لذلك، وقيل إن نجم الدين أيوب رمى مملوكاً من مماليك مجاهد الدين بهروز بسهم فقتله، فخشى نجم الدين، فتوجه نحو الموصل ومعه أخوه أسد الدين، فخدما عماد الدين زنكي بن آق سنقر، صاحب الموصل فأحسن إليهما، وقربهما، ورعى لهما خدمتهما له، وبالغ في إكرامها، وأقطعهما إقطاعات جليلة وترقت أحوالهما عنده، فلما فتح عماد الدين الزنكي بعلبك، جعل نجم الدين أيوب دزداراً فيها، فلم يزل متولياً إلى أن قتل عماد زنكي على قلعة جعبر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة.

وكان صاحب دمشق آنذاك مجير الدين أبق، بن جمال الدين محمد، ابن تاج الملوك دقاق، بن تاج الدولة تتش، بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي، فلما مات دقاق

---

[5] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل ، *تاريخ الخلفاء*، الناشر: وزارة الأوقاف في قطر، ص. 286 - 287.

استقل طغتكين يملك دمشق، وملك بعده إبنه تاج الملوك بوري، ثم ملك بعد تاج الملوك ابنه شمس الملوك إسماعيل، فقتلته والدته، وملكت أخاه شهاب الدين محمود بن بوري، ثم قتل شهاب الدين، وولي أخوه جمال الدين محمد، ثم توفي جمال الدين، وملك بعده ولده مجير الدين أبق، وكان أتابكه والقيم بأمره معين الدين أتر مملوك جده طغتكين.

فلما قتل عماد الدين زنكي على قلعة جعبر، راسل مجير الدين وأتابكه معين الدين نجم الدين أيوب ليسلم إليهما بعلبك، على أن يعطوه إقطاعاً جليلاً بدمشق، فأجابهما إلى ذلك، وسلم إليهما بعلبك، ونزل نجم الدين أيوب بدمشق، وتسلم الإقطاع الذي عين له، وقد ذكر أن تسليم نجم الدين أيوب بعلبك إلى صاحب دمشق كان سببه أنه راسل الأمير سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي وهو أكبر من أخيه نور الدين محمود ليسلم إليه بعلبك ويرسل إليه من يحفظها، فأبطأ عليه بسبب اشتغال سيف الدين بترتيب الممالك الشرقية، وخاف نجم الدين أن توخذ منه عنوة، وينالله أذى، فسلمها إلى صاحب دمشق بسبب ذلك.

واتصل الأمير أسد الدين شيركوه أخو نجم الدين أيوب بخدمة نور الدين محمود، بن عماد الدين زنكي، وصار من أخص أصحابه، ومقدماً على سائر أمرائه، لما عرفه من شهامته وشجاعته، وإقدامه في الحرب على ما لا يقدم عليه غيره، ولم يزل حاله ينمو عنده إلى أن أقطعه مدينتي حمص والرحبة.

ولما قريت أطماع نور الدين محمود الونكي في ملك دمشق وأخذها من صاحبها مجير الدين أبق بن محمد، أمر أسد الدين شيركوه بمكاتبة أخيه نجم الدين أيوب، وكان بها مقيماً، وطلب منه مساعدته على ماهو بصدد، فطلب هو وأخوه نجم الدين أيوب من الاقطاع شيئاً كثيراً بدمشق، فبذل لهما نور الدين فتسلمه ووفى لهما بما حلف لهما عليه، وصارت منزلتهما عنده في أعلا الرتب، وصار أسد الدين شيركوه مقدم جيوشه وعساكره. ثم كان من قصد أسد الدين الديار المصرية بعساكر نور الدين[6].

---

[6] جمال الدين محمد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب* ،تحقيق جمال الدين محمد الشيال، وزارة المعارف المصرية، القاهرة 1952، ج1، ص. 7-10.

2.1 نشأته العلمية

لقد كان الناصر صلاح الدين الأيوبي محباً للعلم وللعلماء، كما كان حريصاً على صحبة أهل العلم من الفقهاء والمحدثين، وكان حريصاً على حضور مجالسهم وأن ينهل من معينهم، وكان محباً للقرآن يكاد المصحف أن لا يفارق يديه الطاهرتين، وقد كان والده حريصاً على تنشئته تنشئة دينية خالصة، وقد كان لوالده رحمة واسعة أكبر الأثر في هذه التنشئة العلمية والدينية، فشب صلاح الدين محبا للعلم وللعلماء، وقد كان للعلم أثر كذلك في صفاته الإيمانية التي عرف واشتهر بها رحمه الله فلما كان والد صلاح الدين قد انتقل إلى بعلبك حيث أصبح والياً عليها مدة سبع سنوات وانتقل إلى دمشق، وقضى صلاح الدين طفولته في دمشق حيث أمضى فترة شبابه في بلاط الملك نور الدين الزنكي أمير دمشق إن المصادر حول حياة صلاح الدين خلال هذه الفترة قليلة ومبعثرة، لكن من المعروف أنه عشق دمشق عشقاً شديداً، وتلقى علومه فيها، وبرع في دراساته، حتى قال عنه بعض معاصريه أنه كان عالما بالهندسة الإقليدية والرياضيات المجسمية وعلوم الحساب والشريعة الإسلامية وتنص بعض المصادر أن صلاح الدين كان أكثر شغفاً بالعلوم الدينية والفقه الإسلامي من العلوم العسكرية خلال أيام دراسته وبالإضافة إلى ذلك، كان صلاح الدين ملما بعلم الأنساب والسير الذاتية وتاريخ العرب والشعر، حيث حفظ ديوان الحماسة لأبي تمام عن ظهر قلب، أيضاً أحب الخيول العربية المطهمة، وعرف أنقى سلالاتها دما بداية.

وكما تقدم كان مهتما بالعلوم الإسلامية وقد كان يذهب بنفسه لسماع الدروس من أفواه الأئمة المشاهير، وقد كان يصحب معه أولاده متنقلاً بهم من مصر إلى الاسكندرية، ليغنم على حاجز قوله حياة الامام حافظ السلفي أو حيتة غيره من الأئمة المعروفين : كالشيخ والدي طاهر بن عوف، الذي سمع السلطان على موطأ ملك برواية الطرطوشي، والشيخ تاج الدين المسعودي، الذي كان السلطان خلال مدة اقامته في القاهرة يعين وقتاً لسماع الأحاديث النبوية منه[7].

[7] جمال الدين ، *فرج الكروب*، جـ. 1، ص. 195-196.

وفي كتاب (شفاء القلوب في مناقب بني أيوب) يذكر بأن السلطان كان يتردد على الإمام السلفي عادة في أيام الخميس والجمعة والسبت من كل اسبوع.

وكما كانت حاشية صلاح الدين تزدان بمثل القاضي الفاضل وزيراً ومديراً ومشيراً والعماد الاصفهاني كاتباً وشاعراً ومؤرخاً وأديباً، فكذلك ازدات هذه الحاشية الجليلة بالقاضي بهاء الدين بن شداد، لا يبرح السلطان من مواطن السلم أو الحرب، ولا يغفل يوماً من مطالعته الحديث والتفسير.

ويحدث ابن شداد عن أمير صليبي وهو صاحب "شقيف أرنون" كان من دهاة الصليبيين وكان كثير التردد في خدمة صلاح الدين، فقال عن هذا الأمير: ''كان يناظرنا في دينه ونناظره في بطلانه، وكان جميل الحوار متأدباً في نقاشه و كلامه''[8]

ويذكر في كتاب "شفاء القلوب"[9] يذكر بأن صلاح الدين قرأ مختصراً في الفقه ألفه الامام فخر الدين الرازي، وذلك كله فوق ماكان يفيده السلطان من العلماء والفقهاء، حين كان يجلس معهم في مجلس العدل، وفي يومي الاثنين الوخميس من كل أسبوع.

وقد عرف العالم الإسلامي في تلك الفترة الزمنية التي عاشها صلاح الدين الأيوبي، وحكم فيها أنواعا متعددة من المؤسسات العلمية والدينية شملت في معظمها المدارس والمساجد والزوايا، وغيرهما من المرافق والمراكز الاخرى، على سبيل المثال المدارس، التي كانت قائمة في مختلف البلاد الاسلامية، لم تكن بصورة عامة مؤسسات رسمية تابعة للدولة، بل انها كانت تنشأ باسم أشخاص معينين سواء من امراء او وجهاء، فلم يكن من واجب الدولة الإنفاق عليها، بل كانت المدارس تنشأ بموجب وقفيات شخصية تتضمن شروط الواقف لإنشاء المدرسة ونظامها، وتبين أهدافها وطرق إدارتها وتحدد عدد طلابها وتعيين أوقافا توقف على المدرسة للأنفاق عليها ضمانا لاستمرارها، وهذه الأوقاف أما ان تكون عقارات في المدن كدور للسكن، والحوانيت والطواحين أو أية عقارات أخرى تدر دخلا، وينفق منها على المدرسة وريع الأوقاف هو وحده مصدر التمويل والأنفاق، ولذلك فإن المدرسة كانت تزدهر

---

[8] جمال الدين، *فرج الكروب*، جـ.1، ص. 80.

[9] إبن تغري بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، ، بدون بيانات ، جـ. 6، ص. 126.

بمقدار ازدهار العقارات الموقوفة عليها، ومن محاسن نظام الوقف على المدارس أن أبواب العلم فتحت امام الفقراء، إذ اعتنت أوقاف المدارس بتدريسهم واكلهم وشربهم ونومهم واستحمامهم ومعالجتهم، وكان هذا واضحاً في العهد الأيوبي، إذ شهد هذا العهد نشاطاً ملحوظاً في الحياة العلمية والحركة الثقافية في بلاد الشام على الرغم من الظروف السياسية والعسكرية التي تعرضت لها المنطقة خلال تلك الفترة، وكان من أهم مظاهر هذا النشاط إهتمام ملوك وحكام بني أيوب بإنشاء المراكز والمؤسسات العلمية وأهمها المدارس، وقد حرص مؤوسسوا هذه المراكز التعليمية على توفير مصدر دخل ثابت يكفل لمنشأتهم التعليمية الاستمرار في تقديم خدماتها، ومن أجل ذلك رصدوا لها الأوقاف الوفيرة التي تضمن للملتحقين بها العيش في مستوى مناسب يمكنهم من الانصراف إلى طلب العلم دون عناء كبير، وقد اهتم الملك الناصر صلاح الدين، بعد تحريره بيت المقدس من الصليبيين، بإعادة الحياة العلمية الدينية إلى المسجد الأقصى، فأزال الآثار الصليبية منه واعاد ترتيب المسجد الأقصى إماما وأقام على خدمته السدنة بما فيهم المدرسين و الخطباء، ونقل إليه عدداً من المصاحف الشريفة، ووقف على المسجد الأوقاف الكبيرة.

ومن أشهر المدرسين الذين درسوا في المسجد الأقصى في العهد الأيوبي، الفقيه المفسر النحوي في المذهب المالكي والعارف بالعربية وعلم الكلام والتفسير: إبن سجمان المالكي، كما درس بالمسجد الأقصى الحسن بن الخطير بن أبي الحسين النعماني الحنفي، نسبة إلى النعمانية قرية في بغداد، وكان مبرزا في النحو واللغة العربية والعروض والقوافي والشعر، عالما بتفسير القرآن والفقه والحساب والطب والمنطق، ومنهم الشيخ الإمام العالم ابو محمد موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد البغدادي، ويعرف أيضاً بإبن اللباد، كان عالما باحوال الدين والنحو واللغة والطب والتاريخ، وكان هؤلاء المدرسون يتقاضون رواتبهم من ريع أوقاف المسجد الأقصى، وهكذا عاد المسجد الأقصى والصخرة المشرفة مركزي علم وعبادة، وتدفق عليهما العلماء والفقهاء، وانشغلوا بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر

الدروس[10]

وعند النظر إلى الحياة المذهبية لمصر في ذلك العصر نرى مذهب الاشعري قد زحف على مصر، وقوى شأنه فيها بدخول صلاح الدين اليها، فمالت مصر يومئذ الى العلوم النقلية أكثر من ميلها إلى العلوم العقلية، وظهرت فيها العناية بالتصوف، بحيث صرفتها هذه العناية نفسها عن غيره من شؤون الدنيا[11].

وكان هذا المذهب الذي أتى به الأشعري لم يكن الا نقطة الانتهاء التي يقف عندها كل من يريد أن يرح عقله او يضع عنه مشقة التفكير الطويل، لينقذ نفسه من صراع عنيف سيتعرض له في طريق الوصول إلى اعتقاد صحيح عن طريق العقل، فيعدل عنه عدولاً نهائياً إلى طريق القلب.

ولخص الباحثون عمل الاشاعرة وعمل الغزالي معهم في أمور أربعة:

1- انهم صروا الناس عن تلك الدراسات الكبيرة حول مسائل الكلام، ووصلوهم وصلاً مباشراً بمذهب اليسر والسهولة، وهو مذهب السنة أو مذهب الجامعة.

2- أنهم بوعظهم وارشادهم اعادوا الشعور بالخوف الى قلوب الناس. والمقصود بالخوف هنا هو مخافة الناس من الخالق جل شأنه، ومن الخوض في صفاته كما يفعل المعتزلة وغيرهم.

3- أنه بتأثير الأشاعرة وتأثير الغزالي بوجه خاص اكتسب المتصوفة مركزاً ممتازاً في العالم الاسلامي.

4- انهم قربوا الفلسفة الدينية للذهن العادي. ومعنى ذلك انهم هدموا الارستقراطية العقلية، وجعلوا البحوث الدينية شعبية و كشعبية، وخدموا الفكر الاسلامي نفسه خدمة عظيمة، فانقذوه من الجمود الذي كاد أن يقع فيه[12].

---

[10] عبد المجيد بدوي، *التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الفكري حتى سقوط بغداد*، ص. 245.

[11] د. عبد اللطيف حمزة، *الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول*، دار الفكر العربي، ص. 95.

[12] د. عبد اللطيف حمزة، *الحركة الفكرية*، دار الفكر العربي، ص. 92 - 93.

3.1 وفاة صلاح الدين الأيوبي

يقول إبن الأثير: " دخلت سنة تسع وثمانين وخمس مائة، في هذه السنة في صفر توفي صلاح الدين يوسف، صاحب مصر والشام والجزيرة وغيرها من البلاد، بدمشق، ومولده بتكريت، وكان سبب مرضه أن خرج يتلقى الحاج، فعاد، ومرض من يومه مرضاً حاداً بقي به ثمانية أيام وتوفي، رحمه الله"[13]

و قد كانت وفاة صلاح الدين كارثة عظيمة على الأمة الإسلامية كلها، وترك خلفه فراغا هائلا يصعب ملؤه ولذا كان من الطبيعي أن يبكيه الشعراء ويحزنوا لوفاته وكان من الطبيعي أيضاً أن يعبّروا عن آلام الأمة الإسلامية التي أصابتها في الصميم.

وقد كانت وفاة صلاح الدين كارثة عظيمة على الأمة الاسلامية كلها، وترك خلفه فراغا هائلا يصعب ملؤه ولذا كان من الطبيعي أن يبكيه الشعراء ويحزنزا لوفاته وكان من الطبيعي أيضاً أن يعبّروا عن آلام الأمة الاسلامية [14].

ويشير القاضي بهاء الدين بن شداد إلى وفاة صلاح الدين : بأنه كانت ليلة الاربعاء السباع والعشرين من شهر صفر الهجري سنة 589هـ وكان يصادف ذلك التاريخ اليوم الثاني عشر من مرض صلاح الدين، اذ اشتد مرضه وضعفت قوته أيضاً كثيراً ذلك اليوم، وأشار أيضاً ابن شداد على الحزن الشديد الذي ساد بين الناس وأركان الدولة وعلى العزاء الذي أقيم حينها[15].

وقد اجمع المؤرخون في الشرق و الغرب على عظمة صلاح الدين، ولعلنا نبدأ بما قاله عنه ابن الأثير وكان لا يميل اليه كما عرفنا وبالجملة فكان نادراً في عسكره كثير المحاسن والأفعال الجميلة عظيم الجهاد في الكفار، وفتوحه تدل على ذلك.[16]

---

[13] عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري إبن الأثير ، *الكامل في التاريخ*، ج5 ص. 213 ,بدون تاريخ.

[14] عبد القادر عبار، *مرآة الشعر الإسلامي المعاصر*، ص. 30 ,بدون تاريخ.

[15] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، ص. 264-265.

[16] إبن الأثير، *الكامل في التاريخ*، جـ9، ، ص. 226.

وقال العماد الاصفهاني عن صلاح الدين: "مات بموت السلطان الرجال ومات لوفاته الافضال، وغاضت الايادي وفاضت الاعادي وانقطعت الارزاق وادلهمت الافاق، وفجع الزمان بواحده وسلطانه ورزئ الاسلام بمشيد أركانه.[17]

أما ما قاله المؤرخون الاسلاميون المحدثين فكثير فقال أحدهم: "لقد كان قائداً موهوباً تمثلت في شخصه كل المعاني التي كانت تدور في نفوس العرب والمسلمين فأبرزها باسم العرب والمسلمين[18].

وقيل أيضاً في موت صلاح الدين: ''ترك صلاح الدين فراغاً بموته، ففقد الاسلام به بطله وناصره، اذ انه مد عمره أكثر من ذلك لتمكن حتماً من القضاء على دولة الفرنجة في الشرق''[19]

وقد حظى صلاح الدين الأيوبي بعناية فائقة من الشعراء والأدباء لم يحظ بها أحد غيره من أبطال الحروب الصليبية على الإطلاق، وقد رثاه الشعراء بالكثيرر من المراثي[20].

وهكذا مات صلاح الدين الأيوبي بعد أن أرسى دعائم دولته في مصر والشام، مخلفاً وراءه مملكة واسعة الأطراف تمتد من حدود تونس إلى جبال أرمينيا[21]

ومات الفارس المغوار قاهر الصليبيين ومحرر القدس من النصارى الملاعين رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته وألهم الأمة الإسلامية في هذا المصاب العظيم الصبر والسلوان.

4.1 تقواه وعبادته

كان صلاح الدين الأيوبي تقيا ورعا، محافظا على دينه ثابتا على إيمانه، حريصاً كل الحرص على طاعة ربه عز وجل وعبادته، فلا تراه إلا صواما قواما لربه

---

[17] أبي الفداء، *المختصر في أخبار البشر*، جـ.3، ص. 87.
[18] الغروي، *موسوعة التاريخ الاسلامي*، جـ. 5، ص. 623.
[19] سعيد عبد الفتاح عاشور، *العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى*، ص. 185.
[20] محمد علي الهرفي، *شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية*، ص. 158.
[21] د. وفاء محمد علي، *قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام*، ص. 155.

– عز وجل لا تخلو يده من كتاب الله، حريصاً على الصلوات في أوقاتها، وهذه من أهم الصفات التي يجب أن تتوافر في القائد المسلم.

يقول العماد الأصفهاني كان مشغوفاً في سبيل الله بالأنفاق موقوفاً عزمه في الأعداء بإدناء الآجال وفي الأولياء بإجراء الأرزاق، وما عقر في سبيل الله أو جرح إلا وعوض مالكه بمثله، وزاد من فضله، وحسب ما وهبه من الخيل العراب والأكاديش الجياد للحاضرين معه في صف الجهاد مدة ثلاث سنين مذ نزل الفرنج على عكاء في رجب سنة خمس وثمانين إلى يوم انفصالهم بالسلم في شعبان سنة ثمان وثمانين، فكان تقديره اثني عشر ألف رأس من حصان وحجر وأكديش طمر وذلك غير ما أطلقه من المال في أثمان الخيل المصابة في القتال.[22]

وفضلاً عن تعظيمه للشعر والعلم فقد كان صلاح الدين يكن كراهية ورفضاً للفلاسفة آنذاك إذ يقول ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة واصفا علاقة صلاح الدين بالفلاسفة "كان مبغضاً لكتب الفلاسفة و أرباب المنطق، ومن يعاند الشريعة. لما بلغه عن السهروردي ما بلغه أمر ولده الملك الظاهر بقتله، وكان ذلك بحلب سنة 588هـ. قال: وفيها توفي يحيى السهروردي المقتول بحلب. وكان يعاني علوم الأوائل والمنطق والسيمياء وأبواب النيرنجيات وهي شيْ من السحر فاستمال بذلك خلقاً كثيراً وتبعوه وله تصانيف في هذه العلوم واجتمع بالملك الظاهر فكتب أهل حلب الى السلطان صلاح الدين: أن أرك ولدك وإلا تتلف عقيدته. فكتب إليه أبوه صلاح الدين بابعاده فلم يبعده فكتب بمناظرته فناظره العلماء فظهر عليهم بعبارته. فقالوا: انك قلت في بعض تصانيفك: ان الله قادر على أن يخلق نبياً، وهذه مستحيل فقال ما وجه استحالته؟ فان الله هو الذي لا يمتنع عليه شيء. فتعصبوا عليه"[23]

وهكذا كانت الدولة الأيوبية عنيفة في معاملة الفلاسفة، لا تتهاون في تعقبهم، ولا تتساهل في قتلهم وإبادتهم، ولا تقبل منهم جدلاً ولا ترضى منهم عملاً. وما دامت

---

[22] محمد بن محمد بن حامد أبي عبد الله عماد الدين الأصفهاني، *حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي*، دار المنار، بدون تاريخ ص. 343 .

[23] ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، جـ. 6، ص. 9.

هذه الدولة دينية و سياسية فقد نظرت الى السهروردي وأمثاله على أنهم خطر ديني و سياسي في وقت ما.

ولكن كان من الفلاسفة من عاش في العهد الأيوبي و عهد صلاح الدين بالاخص و كسبوا احترام صلاح الدين و آولى لهم صلاح الدين الرعاية و الاحترام و سنذكر ذلك فيما بعد في قسم خاص يحكي عن تعلق صلاح الدين بالفلسفة والفلاسفة.

5.1 عدله ورحمته وتواضعه

إن صفة العدل من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها السلطان أوالحاكم المسلم، وقد حث الاسلام على كل حاكم مسلم أن يكون عادلاً في حكمه، وأن يساوي ويأمر بين رعيته بالعدل والمساواة دون تفريق بينهم، وأن يحاكم ويعطي جزاء الظالم حتى يأخذ حق المظلوم منه، وأن يلين مع المظلوم حتى ينتصف له، وبالعدل تتحقق المسأواة بين الرعية.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"ما من أمير عشرة إلا جيء به يوم القيامة مغلولةٌ يده إلى عنقه حتى يطلقه الحق أو يوبقه الجوروفي رواية لايفكه إلا العدل" [24]

كما اتصف صلاح الدين بخصال التواضع والحلم، والعفو عند المقدرة، قريباً من الناس، كثير الاحتمال والمداراة، لم يتكبر على أحد أصحابه، صبوراً على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك، ولا يتغير عليه، وقد صفح مرة عن خطأ ارتكبه أحد الجناة عليه فقال: "...لأن أخطئ في العفو أحب إلى من أن أصيب في العقوبة"[25]

---

[24] *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية 1420هـ، 1999م ج15،ص351 حديث رقم 9573.

[25] محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي أبو الحسين ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، ص. 270.

6.1 شجاعة صلاح الدين وصبره

يجب فيمن يتقلد أمور الحكم والسلطنة في بلاد المسلمين أن تتوافر فيه صفات عديدة، وأخص هذه الصفات صفة الشجاعة، فبها يسوس العباد والبلاد، ولله در إبن تيمية حيث قال :''لا تتم رعاية الخلق وسياستهم، إلا بالجود الذي هو العطاء، والنجدة التي هي الشّجاعة، بل لا يصلح الدين والدنيا إلا بذلك، ولهذا كان من لا يقوم بهما، سلبه الأمر ونقله إلى غيره، فعلق الأمر بالأنفاق الذي هو السخاء، والقتال الذي هو الشّجاعة[26]، وكذلك قال الله تعالى في غير موضع: وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله"[27] .

وأما عن شجاعته: ''فكانت مضرب الامثال، وقد شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء، ولم يكن هذا البطل كأولئك الملوك والقادة الذين يتربعون على عرش الزعامة، وليس لهم سوى أن يصدروا الأوأمر إلى أتباعهم ويقذفونهم إلى ساحات الوغى، فإن أصأبوا نصرا فالذكر لهم، وإن كانت الهزيمة والبلاء فهم في مراكز قياداتهم آمنون، ولم يكن صلاح الدين من ذلك الصنف من الملوك والقادة، وإنما كان إذا أراد منازلة العدو تقدم الصفوف، وخرج مع الجيش ليصحبه في ساحة القتال، بل شاركهم مخاطر الحرب، وثبت معهم في أحلك الظروف وأشد الأزمات''[28].ومن الأمثلة على الشجاعة الفائقة التي تحلى بها هذا البطل أنه بعد أن استولى على حصن كوكب سنة 584هـ سمح للعسكر المصري بالأنصراف للراحة، وكان ذلك العسكر بقيادة أخيه الملك العادل، فقرر صلاح الدين أن يودعهم حتى عسقلان، ثم يتفقد البلاد الساحلية حتى عكا، ولم يوافق المستشارون من صلاح الدين على تلك الخطة، لأنه بعد أن يودع العسكر المصري في عسقلان سيبقى هو في عدد قليل من الجند، فكيف يأمن على نفسه

---

[26] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم إبن تيمية، *الفتاوى*، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، ط أولى، 1416ه – 1995م ج2، ص. 28.

[27] التوبة، 9/41-42.

[28] د عبد الله صالح علوان، *صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين*، دار السلام – دمشق، ط أولى بدون تاريخ، ص. 96.

أن يتنقل من مدينة إلى أخرى من مدن الساحل ليتفقدها وهو دون جيش يحميه، لا سيما أن جموع الصليبيين كانت كبيرة في مدينة صور، لذلك أشار مرافقو صلاح الدين ومنهم القاضي بن شداد أشاروا عليه ألا يفعل ذلك، واعتبروا عمله مخاطرة عظيمة، ولكنه أصر على رأيه، ومضى في طريقه إلى عكا بحذاء الساحل بعد أن انصرف العسكر المصري دون أن يخاف عدوا أو يخشى خطرا، وكان الفصل شتاء، والبرد قارصا، والبحر هائجا، فنظر صلاح الدين إلى أمواج البحر الهادرة، ثم التفت إلى القاضي إبن شداد وقال :''اما أحكي لك شيئاً في نفسي ؟ إنه متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد بين أبناءه، ووصيت وودعت، وركبت هذا البحر إلى جزائره وأتبعتهم أي الصليبيين فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت"[29]

ولقد كان من كبار الشجعان قوي الشكيمة وشديد البأس كبير الاستقرار لا يصعب عليه أمر ولقد شاهدته يمنح دستورا في أوائل الشتاء ويبقى في شرذمة سهله في مقابلة عددهم العديد وفي ذلك الحين سألت باليان بن بارزان وهو من كبار ملوك الساحل وهو جالس بين يديه يوم انعقاد الصلح عن عدتهم فقال الترجمان عنه أنه يقول كنت أنا وصاحب صيدا وقد كان أيضاً من ملوكهم وعقلائهم قاصدين عسكرنا من صور فلما أشرفنا عليه تحازرناه فحزرهم هو خمس مائة ألف وحزرتهم أنا بستمائة ألف أو صرح ضد هذا قلت فكم هلك منهم فقال امابالقتل فقريب من مائة ألف وأما بالموت والغرق فلا نعلم وما عاد من ذلك العالم سوى الأقل.

وقد كان يمرض ويصح وتعتريه ظروف مهولة وهو مصابر مرابط وتتراءى النار ان ونسمع منهم صوت الناقوس ويسمعون منا صوت الإذان إلى أن انقضت الوقعة على أحسن حال وأيسره قدس الله روحه ونور ضريحه[30].

وعن صبره يقول إبن شداد"ولقد شاهدته بمرج عكا وهو و الداء قد اشتد عليه وهذا نتيجة لكثرة دماميل قد كانت ظهرت عليه من وسط جسده حتى ركبتيه حيث انه لا يستطيع القُعود وإنما يكون منكباً على جانبه إن كان بالخيمة وإمتنع من مد الغذاء بين

---

[29] عبد الله ناصح علوان، *صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين*، ص. 97.

[30] إبن شداد، *النوادر السلطانية*، ج1، ص. 7.

يديه لعجزه عن القُعود وقد كان يأمر أن يفرق على الناس وقد كان مع هذا قد نزل بخيمة الحرب بعد وقت قريب من العدو وفي ذلك الحين رتب الناس ميمنة وميسرة وقلبا تعبية القتال وقد كان مع هذا كله يركب من بكرة النهار إلى صلاة المغرب يطوف على الأطلاب صابرا على شدة الوجع وقوة ضربان الدمامل وأنا أتعجب من هذا فيقول إذا ركبت ينقضي عني ألمها حتى أنزل وتلك عناية ربانية"[31]

ولقد كان من شجاعا كثيراً و قوي النفس شديد البأس عظيم الثبات لا يهوله أمر.

7.1 حلمه وعفوه

والحلم والعفو صفتان يجب أن يتحلى بهما كل حاكم مسلم، وقد تجسدتا تلك الصفتان في الخليفة الحاكم صلاح الدين الأيوبي، فقد كان حليما، يغفر الذلات، ويعفو عن الهفوات، وقد ذكرت لنا كتب التاريخ صورا من حلمه وعفوه مع قدرته على إنزال العقاب، فهو الحاكم والسلطان الذي دانت له البلاد والعباد، ولكن مع قوته وهيمنته وسطوته فقد كان حليما وعفوا، وهذه من الصفات التي اتصف بها صلاح الدين رضي الله عنه ومن صور حلمه – رضي الله عنه ما ذكره العماد الأصفهاني بقوله :"ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، والسّلطان صلاح الدين مقيم بظاهر حلب، فعرف أهلها أنّ العقوبة أليمة، والعاقبة وخيمة فدخلوا من باب التذلل، ولاذوا بالتوسل وخاطبوا في التّفّضل، وطلبوا الصّلح، فأجابهم، وعفا وعفّ، وكفي وكفّ، وأبقى للملك الصالح حلب وأعمالها، واستقرى كل عثرة لهم وأقالها، وأراد له الإعزاز، فرد عليه عزاز"[32]

ومما يدل على حلمه رضي الله عنه ما ذكره إبن شداد في قوله:"لقد كان متجأوزا قليل الغضب ولقد كنت أخدمه في مرج عيون قبل خروج الصليبين الى عكا يسر الله فتحها لنا وقد كان من عادته أن يركب في وقت الركوب ثم ينزل ويأكل مع الناس ثم يذهب إلى خيمة خاصة له ينام فيها ثم يستفيق من منامه ويصلي ويجلس لوحده وأنا في خدمته نقرأ شيئاً من الجديد أو شيئاً من الفقه، ولقد قرأ علي كتاباً

---

[31] إبن شداد، *النوادر السلطانية*، ص. 8.

[32] الوزير المنشئ البليغ، *حروب صلاح الدين الأيوبي وفتح بيت المقدس*، ص. 30.

مختصراً صنفه الرازي يتضمن على الأرباع الأربعة من الفقه ونزل يوماً على عادته ومد الغذاء بين يديه ثم أراد الوقوف فقيل له أن وقت الصلاة قد قرب فعاد إلى القُعود وصرح نصلي وننام ثم جلس يتحدث عصري متضجر وفي ذلك الحين أخلا الموضع سوى ممن لزم فتقدم إليه مملوك هائل محترم عنده وعرض عليه حكاية لبعض المجاهدين فقال هل أنا الأن ضجران أخرها ساعة فلم يفعل وقدم الرواية إلى قريب من وجهه الكريم بيده وفتحها بحيث يقرأها فوقف على الاسم المكتوب في رأسها فعرفه فقال رجل مستحق فقال يوقع المولى له فقال ليست الدواة موجودة الأن وقد كان جالساً في باب الخركاه بحيث لا يمكنه أحد الدخول إليها والدواة في صدرها والخركاه هائلة فقال له المخاطب تلك الدواة في صدر الخركاه وليس لذلك معنى سوى كلفه إياه بإحضار الدواة ليس إلا فالتفت فرأى الدواة فقال والله لقد صدق ثم امتد على يده اليسرى ومد يده اليمنى فأحضرها ووقع له فقلت صرح الله سبحانه وتعالى في حق نبيه صلّى الله عليه وسلّم وإنك لعلى خلق كبير وما أشاهد المولى سوى قد شاركه في ذلك الخلق فقال ما ضرنا شيئاً قضينا حاجته وحصل المكافأة ولو وقعت تلك المواقعة لآحاد الناس وأفرادهم لقام وقعد ومن الذي يقدر أن يخاطب أحدا هو تحت حكمه بمثل هذا وذلك غرض الإحسان والحلم والله لا يضيع أجر المحسنين"[33]

8.1 مروءته

المروءة من الصفات التي يجب أن يتحلى ويتصف بها كل مسلم، لاسيما الحكام والسلاطين، وتعني أن يتصف المسلم بكل الصفات الحسنة التي ترفع من يقدره، وأن يبتعد عن كل ما ينال منه، وحين توجد تلك الصفة في إنسان يقال عنه حينئذ أنه من ذوي المروءة.

[33] إبن شداد، *النوادر السلطانية*، ص. 10.

وقال إبن القيم الجوزية :"وأربعةٌ تزيد في ماء الوجه وبهجته المروءة والوفاء والكرم والتّقوى"[34]

وحسبك أن الناصر صلاح الدين الأيوبي قد اتصف بتلك الصفات التي شهد بها أعداؤه قبل أوليائه، ومن تلك الصفات صفة المروءة، فقد كان من ذوي المروءة، وفي ذلك يقول إبن شداد :"كان السلطان ذو مروءة وكان كثير الخجل لمن يرد عليه من الضيوف حتى يطعم لا يرى أن يفارقه الضيف حتى يطعم عنده ولا يخاطبه بشيء إلا وينجزه وكان يكرم الوافدين عليه وإن كان كافراً ولقد وفد عليه البرنس صاحب أنطاكيا فما أحس به إلا وهو واقف على باب خيمته بعد وقوع الصلح في شهر شوال سنة ثمان وثمانين وخمس مائة عند منصرفه من القدس إلى دمشق عرض له في الطريق وطلب منه شيئاً فأعطاه العمق وهي بلاد كان أخذها منه عام فتح الساحل وهو سنة أربع وثمانين".

ولقد شاهدته وربما دخل عليه صاحب صيدا بالناصرة فاحترمه وأكرمه وأكل معه الغذاء ومع هذا عرض عليه الإسلام فذكر له طرفاً من محاسنه وحثه عليه.

وقد كان يكرم من يرد عليه من العلماء و الشيوخ و طلاب العلم والفضل وذوي الأقدار وقد كان يوصينا بأن لا نغفل عمن يتخطى بالخيم من المشايخ المعروفين حتى يحضرهم عنده وينالهم من إحسانه ولقد مر بنا سنة أربع وثمانين وخمس مائة رجل جمع بين العلم والتصوف وقد كان من ذوي الأقدار وأبوه صاحب توريز فأعرض هو عن فن أبيه واشتغل بالعلم والعمل وحج وبلغ زائرا لمنزل الله المقدس ولما قضى لبانته منه ورأى آثار السلطان فيه حدث له زيارته فوصل إلينا إلى المعسكر المنصور فما أحسست به سوى وفي ذلك الحين دخل علي في الخيمة فلقيته ورحبت به وسألته عن داع هذا ووصوله فأخبرني بهذا وأنه يؤثر زيارة السلطان لما رأى له من الآثار الحميدة

---

[34] إبن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، *زاد المعاد في هدي خير العباد*، ج4 ص. 372 بدون تاريخ.

الجميلة فعرفت السلطان بهذا في ليلة وصول ذلك الرجل فاستحضره وروى عنه مؤخرا ثم انصرفنا وبات عندي في الخيمة فلما صليت الصبح أخذ يودعني فقبحت له المسير بلا توديع السلطان فلم يلتفت ولم يلو على هذا وصرح قد قضيت حاجتي منه ولا عرض لي فيما عدا مشاهدته وزيارته وانصرف من ساعته ومضى على هذا ليال فسأل السلطان عنه فأخبرته بفعله فظهر عليه آثار الحنق كيف لم أخبره برواحه وصرح كيف يطرقنا مثل ذلك الرجل وينصرف عنا من غير إحسان يمسه منا وأكد النكير علي في هذا فما وجدت بدا من أن أكتب كتابا إلى محيي الدين قاضي دمشق السورية طلبت منه فيه السؤال عن حال الرجل وإيصال رقعة كتبتها إليه طي كتابي أخبره فيها بإنكار السلطان رواحه من غير اجتماعه به وحسنت له فيها العود وقد كان بيني وبينه صداقة تقتضي مثل هذا فما أحسست به سوى وربما رجع إلي فرحب به السلطان وانبسط معه وأمسكه أياماثم خلع عليه خلعة حسنة وأعطاه مركبا لائقاً وثياباً كثيرة يحملها إلى بنيه وأتباعه وجيرانه وانصرف عنه وهو أشكر الناس وأخلصهم دعاء لأيامه.

وقد كان لا يشاهد الإساءة إلى من صحبه وإن أفرط في الخيانة ولقد أبدل في خزائنه كيسان من الذهب المصري بكيسين من الفلوس فما عمل بالنواب شيئاً إلا أن صرفهم من عملهم ليس إلا.

ولقد دخل أرناط صاحب الكرك مع ملك الإفرنج بالساحل لما أسرهما في وقعة حطين في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة والواقعة مشهورة تجيء مشروحة في مكانها إن شاء الله سبحانه وتعالى وقد كان أمر بإحضارهما وقد كان أرناط ذلك الملعون كافراً عظيماً جباراً قاسياً وقد كانت قد اجتازت به موكب من مصر حين كان بين المسلمين وبينهم هدنة فغدرها وأخذها ونكل بهم وعذبهم وأسكنهم المطامير والحبوس الحرجة وذكروا له عصري الهدنة فقال قولوا لمحمدكم يخلصكم فلما بلغه هذا عنه نذر أنه متى أظفره الله به قتله بنفسه فلما أمكنه الله منه في هذا هذا النهار قوى عزمه على قتله إخلاص بنذره فأحضره مع الملك فشكا الملك العطش فأحضر له قدحا من شراب فشرب منه ثم ناوله أرناط فقال السلطان للترجمان قل للملك أنت الذي سقيته

واما أنا فما أسقيه من شرابي ولا أطعمه من طعامي فقصد أن من أكل من طعامي فالمروءة تقتضي أن لا أؤذيه ثم ضرب عنقه بيده إخلاص بنذره وأخذ عكا وأخرج الأسرى جميعهم من ضيق الأسر وكانوا زهاء أربعة آلاف أسير وأعطى كل وأحد منهم نفقة يبلغ بها إلى بلده وأهله هكذا بلغني على السنة جماعة لأني لم أحضر تلك الواقعة.

وقد كان حسن الجديد ولطيف في الأخلاق حافظاً أنساب العرب ووقائعهم عارفاً بسيرهم وأحوالهم حافظاً لأنساب خيلهم عالماً بعجائب الدنيا ونوادرها بحيث كان يستفيد محاضره منه ما لا يسمع من غيره.[35]

وقد كان حسن الخلق يسأل الفرد منا عن مرضه وعلاجه وطعامه وشرابه وتقلبات أحواله.

وقد كان نقي و طاهر المجلس لا يذكر بين يديه أحد سوى بخير السمع فلا يحب أن يسمع عن أحد سوى الخير وطاهر اللسان فما شاهدته ولع بشتم قط، وقد كان حسن العهد والوفاء فما أحضر بين يديه يتيم سوى وترحّم على مخلفيه وجبر قلبه وأعطاه وجبر مصابه وإن كان له من أهله عظيم يعتمد عليه سلمه إياه وإلا أبقى له من الخير ما يكف حاجته وسلمه إلى من يعتني بتربيته ويكفلها

وقد كان لا يشاهد شيخا سوى ويرق له ويعطيه ويحسن إليه ولم يزل على تلك الأخلاق إلى أن توفاه الله إلى موضع رحمته ومكان رضوانه.

فهذه نبذ من محاسن أخلاقه ومكارم شيمه اقتصرت عليها رهاب الإطالة والسآمة وما سطرت سوى ما رأيته أو أخبرني الثقة به وحققته وذلك بعض ما اطلعت عليه في زمان خدمتي له وهو لين فيما اطلع عليه غيري ممن طالت صحبته وتقدمت خدمته ولكن ذلك القدر يكفي المؤلف والكاتب في الاستدلال على طهارة هذه الأخلاق والخلال.[36]

---

[35] إبن شداد، *النوادر السلطانية* ، ص. 12.

[36] إبن شداد، *النوادر السلطانية* ، ص. 12- 13.

ومن خصال صلاح الدين الأيوبي شجاعته وحنكته أمام المصاعب التي واجهته كوزير أو كسلطان إذ عاش في منتصف دوامة الصراع بين الحضارتين الشرقية والغربية، وكان الحال كذلك حتى اتيح لصلاح الدين أن يتغلب على أعدائه من الفرنج وأن يحصرهم في شريط ضيق على الساحل، ثم ترك للمماليك الذين خلفوا أولاده من بعده مهمة أخرى هي إخراج آخر صليبي من هذا الشريط الضيق على الساحل. والواقع أنه كان على صلاح الدين أن يقوم على ذلك الوقت بعملين مهمين جداً وهما: أولهما تأسيس دولة قوية له في مصر والشرق، وثانيهما مطاردة الصليبيين الذي أتوا من بلادهم البعيدة بحجة المحافظة على القدس.

وفي أفلح صلاح الدين الأيوبي في ازالة الدولة الفاطمية وإقامة الدولة الأيوبية، والأرجح عندي أن هذه الحكومة الأيوبية كانت اسلامية أكثر منها مصرية، وان صلاح الدين كان فيما أرى مدافعاً عن الفكرة الدينية أكثر من الفكرة المصرية، ذلك أن صلاح الدين لم يخرج عن كونه تلميذا مخلصاً للأتابكية الذي منهم نور الدين، وكانت الخطة التي وضعها هؤلاء الأتابكة المخلصين للدينعلى أنهم يملكون الشام، ثم يجند الشام وماله يملكون مصر، ثم يجند مصر ومالها يطردون الفرنج. ومعنى ذلك أن الفكرة الدينية نفسها هي التي كانت مسيطرة على أذهانهم، وهي التي ألمتهم هذه الخطة التي نفذ السلطان الملك العادل نور الدين الأتابكي شطراً منها، ثم قام من بعده السلطان الملك الناصر صلاح الدين بتنفيذ شطر آخر.[37]

---

[37] شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي أبو شامة، *كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، جـ 2، ص. 177.

الفصل الثاني

2. علاقة صلاح الدين الأيوبي بالعلم و العلماء

1.2 مفهوم العلم

العلم: الجبل الطّويل والجميع الأعلام صرح: إبن صانعة "الزّروب لقومه لا أستطيع رواسي الأعلام"[38]

ومن هنا نعلم أن كلمة العلم وردت في اللغة بمعاني كثيرة منها الشّعور، الأثر والعلامة، وما يفصل بين الأرضين إلخ..

و قالوا عنها: سمي العلم علماً من العلامة، وهي الدلالة والإشارة، ومنه معالم الأرض والثوب والمعلم: الأثر يستدل به على الطريق، والعلم نقيض الجهل، وقال عنه الفيروزآبادي: هو حق المعرفة[39]

العلم اصطلاحاً: اختلف العلماء في وضع تعريف محدد ومنضبط للعلم، لذا تعددت تعريفاتهم للعلم من ذلك ما ذكره العلامة إبن القيم في تعريفه للعلم بقوله: العلم هو نقل صورة المعلوم من الخارج وإثباتها في النفس، ولعمل نقل صورة علمية من النفس وإثباتها في الخارج فان كان الثابت في النفس مطابقا للحقيقة في نفسها فهو علم صحيح وكثيراً ما يثبت ويترك أي في النفس صور ليس لها وجود حقيقي فيظنها الذي قد أثبتها في نفسه علما وإنما هي مقدرة لا حقيقية لها وأكثر علوم الناس من هذا الباب وما كان منها مطابقا للحقيقة في الخارج فهو نوعان نوع تكمل النفس بإدراكه والعلم به وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وكتبه وأمره ونهيه ونوع لا يحصل به للنفس كمال وهو كل علم لا يضر الجهل به فإنه لا ينفع العلم به وكان النبي يستعيذ بالله من

---

[38] المقدسي، *كتاب الروضتين*،ص152.

[39] محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، *القاموس المحيط*، ج1، ص. 1472 ,بدون تاريخ.

علم لا ينفع وهذا حال أكثر لعلوم الصحيحة المطابقة التي لا يضر الجهل بها شيئاً كالعلم بالفلك[40].

وقد عرفه العلامة الجرجاني بقوله: ''العلم هو وصول النفس إلى معنى الشيء وقيل عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول'' وقيل عبارة عن صفة ذات صفة وقيل ما وضع لشيء وهو العلم القصدي أو غلب وهو العلم الاتفاقي الذي يصير علما لا بوضع واضع بل بكثرة الاستعمال[41]، وقيل العلم: معرفة المعلوم على ما هو به في الواقع أي إدراك ما من شأنه أن يعلم، وقد اختلف العلماء في العلم هل يحدّ أم لا ؟ فقال جماعة منهم: العلم لا يحدّ لعسره، وهو قول إمام الحرمين الجويني في البرهان والغزالي وغيرهما، وقال الإمام الرازي: ''العلم لا يحدّ لأنه ضروري''، وقال أكثر العلماء: ''العلم يحدّ، وهذا قول إمام الحرمين في الورقات، والعلم الضروري هو العلم الذي يلزم نفس المخلوق لزوماً لا يمكنه معه الإنفكاك عنه'' [42]

ويطلق مصطلح العلم لدى علماء المسلمين ويراد به: إدراك لنفس الأشياء والمعلومات على حقائقها التي هي عليها في نفس الأمر، ويظهر من هذا التعريف شمول مصطلح العلم لكل معلوم مدرك حصل للنفس إدراكه على حقيقته، ولا يقتصر هذا الإدراك على مصدر دون مصدر، بل كل ما حصل الإدراك به فهو من مصادر العلم وذلك خلافا لمن يطلق مصطلح العلم على ما أدرك بالحواسّ والتجربة فقط العلم التجريبي ويخرج بذلك الغيبيات من دائرة العلم ولو كان إدراكها يقينيّا في النفس، وهذا مصطلح لا يعرفه المسلمون وإن كان قد انجر إليه بواقع الغزو الفكري وحرب المصطلحات كثير من الكاتبين المتأخرين فتكلموا عما أسموه الإعجاز العلمي في القرآن يريدون بذلك الإعجاز الواقع في الآيات التي تتعلق بالكون والخلق وما فيهما من

---

[40] محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله إبن القيم الجوزية، *الفوائد*، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، 1393 – 1973، ص. 84.

[41] علي بن محمد بن علي الجرجاني، *التعريفات*، دار الكتاب العربي – بيروت، تحقيق : إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، 1405 ج1، ص. 199.

[42] تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بإبن النجار، *شرح الكوكب المنير*، تحقيق محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان الطبعة الثانية 1418هـ 1997 مـ ج1، ص. 310.

عظيم الصنع وبديع النظام كما قال تعالى:"إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب"[43] هذا وللعلم تعريف آخر وهو: مجموعة المباحث المرتبة المترابطة، وهذا المعنى غير الإدراك ويقصد به العلم المدوّن مثل علم الفقه وعلم اللغة وعلم اللغة والتاريخ والرياضيات وهو غير مراد هنا [44]

ووفق هذا التعريف فقد قسم العلماء العلم إلى أقسام، فمنه ما هو ضروري، ومنه ما هو نظري، ولكل قسم من هذه الأقسام تعريفه لدى العلماء، فقالوا في بيان كل قسم: ينقسم العلم الحاصل للنفس إلى قسمين اثنين:

الأول: العلم الضروري: وهو العلم الذي لا يتوقف حصوله في النفس على الاستدلال والبحث، وهو ما يسميه العلماء النظر بل يوجد العلم به بمجرد تصوره في الذهن، وذلك كالعلم بأن الكل أكبر من الجزء، وبوجود الأقاليم البعيدة المشهورة في العالم، دون الذهاب إليها

الثاني: العلم النظري: وهو العلم الذي يتوقف حصوله في النفس على الاستدلال والفكر، وبناء النتائج على المقدمات، وذلك مثل العلم بأن العالم وهو ما عدا الله تعالى مخلوق حادث، ويسمى العلم المكتسب أيضاً.

العلم واليقين: والعلم بكلا قسميه يفيد اليقين، وهو ما يسميه العلماء القطع، اما إذا أدركت النفس الأمر على سبيل غلبة الظن فيطلق عليه:العلم الظني، وهو ما يماثل ما يطلق عليه النظريات عندما توجد دلائل وقرائن تؤيدها لكنها عندما توجد دلائل وقرائن تؤيدها لكنها لم ترق بها بعد إلى درجة القطع واليقين، فالعلم الظني يوجب العمل مالم يثبت في النفس بطلانه[45].

وجدير بالذكر أن هناك فرقا بين العلم والمعرفة، لأن كثير من الناس يخلط بين الأمرين، ولهذا عرف العلماء المعرفة فقالوا: اما المعرفة فهي من العرف ضدّ النكر، والعرفان خلاف الجهل، وتعرّفت ما عند فلان، مصدره التعرّف: تطلّب الشيء،

---

[43] آل عمران، 190/4-191.

[44] علي بن نايف الشحود، *موسوعة البحوث والمقالات العلمية*، ص. 1، بدون بيانات.

[45] علي ، *موسوعة البحوث* ، ص. 1، بدون بيانات.

وعرّفه الأمر: أعلمه إياه، وعرّفه به، وسمه، وجاء من المصدر معرفة، على غير القياس، لفعله الذي هو على وزن يفعل، إذ إنّ أكثره يأتي على وزن مفعل، وعند إبن فارس: المعرفة والعرفان من العلم بالشيء، يدلّ على سكون إليه، لأن من أنكر شيئاً توحّش منه ونبا عنه[46].

فالمعرفة حاصلة بعد عدم، وذاك العدم هو امالجهل أصليّ بالشيء، أو لنسيان بعد معرفة، فكان عدما بين معرفتين، فكأنّ الشيء كان مختفيا عن الذّهن، ثم تجلى أمامه بارتفاعه وعلوه عن غيره من المدركات في تلك اللحظة، فصار مميزا وبينا وواضحاً في الذّهن بعد خفائه عنه لجهل أو لنسيان، فهو علا في صفحة الذّهن بعد تستره وخفائه، إذ المعرفة علمٌ بعين الشيء مفصّلا عما سواه، أي يعلو في الإدراك، ويميز عما يكتنفه من متشابهات، فيتميز المعلوم من غيره، وسر المسألة: أنّ المعرفة لتمييز ما اختلط فيه المعروف بغيره فاشتبه، فالمعرفة تمييز، وهكذا نلاحظ قرباً بين معنى العلم ومعنى المعرفة، ذلك أنّ كلاّ منهما يعدّ علامة أو دلالة على شيء، وإن كانت المعرفة تدلّ على ما ارتفع من الشيء، والمعرفة فيها علم وعمل، وفيها ارتفاع لقدر المعروف على العارف، ومن ثم كانت معرفة الله تعالى كما تشمل في معانيها الاعتراف والإقرار، كما أن هناك فروقا بين العلم والمعرفة، فالمعرفة عند البعض أخص من العلم، لأنها علم بعين الشيء مفصّلا عما سواه، وكل معرفة علم، وليس كل علم معرفة، وذلك أنّ لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ العلم لا يفيد ذلك، والمعرفة تقال فيما يتوصل إليه بتفكر وتدبر، وتستعمل فيما تدرك آثاره، ولا يدرك ذاته، والعلم يستعمل فيما يدرك ذاته تقول: عرفت الله، ولا تقول: علمت الله، وقيل: العلم يكون بالاكتساب، والمعرفة بالجبلّة، فهي إدراك جزئي يحصل بواسطة، لذلك يقال: عرفت الله، ولا يقال: علمت الله، فالعلم لما يدرك ذاته مع الإحاطة به، وهناك من يقول بأن العلم أخصّ من المعرفة، لأنها قبله، إذ تكون مع كل علم معرفة، وليس مع

---

[46] أحمد بن فارس بن زكريّا أبي الحسين ، *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، الطبعة : 1423هـ 2002م ج 4، ص. 229.

كل معرفة علم، إلى جانب تضمنها للخبرة العملية، فالعلم يقال لإدراك الكلي أو المركب، والمعرفة تقال لإدراك الجزئي أو البسيط، والمعرفة تنصرف إلى ذات المسمّى، اما العلم فينصرف إلى أحواله، كما أنّ العلم يقابله في الضدّ الجهل والهوى، اما المعرفة فهي ضد الأنكار والجحود.

2.2 صلاح الدين والنهضة العلمية

من المعلوم أن صلاح الدين الأيوبي إهتم بالعلم إهتماماً كبيراً اذ بينما كان المسلمون في عهده يجاهدون ضد الصليبيين في بلاد الشام و مصر، ويزلزلون الأرض تحت أقدامهم، عملوا على استباب الأمن في مصر، وتوفير الرخاء الاقتصادي لها، بدليل انعدام ثورات الفلاحين في مصر في عهد صلاح الدين بشكل خاص و العصر الأيوبي بشكل عام.

ومن المعروف أن مدينة القاهرة كانت مقر حكم الفاطميين ومركزهم الاداري وعاصمتهم، بيد أنها لم تكن مدينة عامة فقد كان الاهالي يعيشون في مدينة الفسطاط التي غلب عليها اسم مصر انذاك. وبمعنى آخر لم يسمح لأحد بدخول القاهرة التي كانت تغلق أبوابها إلا بإذن خاص، فيما عدا أولئك الذين كانوا يخدمون الخليفة الفاطمي، وعندما سقطت الدولة الفاطمية على أيدي الأيوبيين، نلاحظ بأن صلاح الدين لم يقم بتأسيس عاصمة جديدة جرياً على سياسة من سبقه من حكام مصر، ولعل ذلك يرجع الى أنه قضى وقتاً قصيراً في القاهرة، بانشغاله معظم سنوات حكمه في خوض معارك الجهاد ضد الصليبيين في بلاد الشام، ومات ودفن في دمشق. على أن صلاح الدين ترك بصمة واضحة في القاهرة، فقد بدأ في إنشاء قلعة الجبل في سفح تلال المقطم المطلة على مدينة القاهرة، فضلاً عن أنه صاحب الفضل في توحيد القاهرة الفاطمية والفسطاط وبعض الأحياء الطارئة المختلفة وربطها بسور عظيم وهو

سور القاهرة، ليشكلوا جميعاً مدينة واحدة، ولذلك يمكن اعتبار صلاح الدين مؤسس القاهرة الحديثة[47].

أما المدارس والمعاهد الدينية ودور التحفيظ انتشرت في عهده، وقد شهدت الحركة العلمية على دوره إزدهارا كبيراً، فضلاً عن دعمه الدائم للعلماء ولطلاب العلم ويظن الكثير من الناس بأن صلاح الدين شغلته أعمال الجهاد عن الانصراف إلى شؤون الدولة الأخرى الحضارية، ولعل صورة الفارس المحارب صلاح الدين قد طغت على الجوانب الأخرى من شخصيته، فأخفت بعضًا من ملامحها المشرقة، وقسماتها المضيئة. وأول عمل نجده من أعمال صلاح الدين هو دعمه للمذهب السني، بإنشائه مدرستين لتدريس فقه أهل السنة، هما المدرسة الناصرية[48] لتدريس الفقه الشافعي، والمدرسة القمحية لتدريس الفقه المالكي، وسميت بذلك لأنها كانت توزع على أساتذتها ومعيديها وتلاميذها قمحًا، كانت تغله من أرض موقوفة عليها، وفي الوقت نفسه قصر تولي مناصب القضاء على أصحاب المذهب الشافعي، فكان ذلك سببًا في انتشار المذهب في مصر وما يتبعها من أقاليم.

لقد توفرت للحركة العلمية في زمن الدولة الأيوبية عوامل عديدة ساعدت على إزدهارها، ولعل من أهم تلك العوامل التي ساهمت بشكل كبير في النهضة العلمية في زمن الدولة الأيوبية لا سيما على يد صلاح الدين الأيوبي حب سلاطين الأيوبيين للعلم والعلماء خاصة القائد المظفر والفارس المغوار صلاح الدين الأيوبي، فقد انتشر العلم في زمنه أيما انتشار، فقد انتشرت المدارس والكتاتيب والمكتبات فضلاً عن تقديم التسهيلات اللازمة والإعانات الكثيرة والمساعدات الوفيرة لطلاب العلم، ولم يحظ العلماء بمكانة سامية ومنزلة رفيعة كما حظي علماء الدولة الأيوبية بفضل هذا القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي، وقد انتشرت المدارس في زمن صلاح الدين انتشاراً كبيرا، وتنوعت المعاهد والمدارس وعمت كل أرجاء المعمورة وتوزعت في أرجاء المجتمع مدنه وقراه، وصار من اليسير والبسيط التحاق الطلاب بهذه المدارس وتلك

---

[47] محمد مصطفى زيادة، الدولة الأيوبية، ص. 477.

[48] عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، *الدارس في تاريخ المدارس*، جـ.1، ص. 195، وابن كثير، *البداية والنهاية*، ج 14 ،ص107.

المعاهد، وأصبح التعليم في متناول الجميع فقراء وأغنياء، ومن أهل البلاد الأصليين والوافدين عليهم وأصبح العلم مكفولا لكل طالب علم وراغب فيه، ويحول دون ضياع فرص التعليم على أحد أو التأثير فيها بسوء، ويجعل من مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية أمرا واقعا ملموسا[49]، فقد كان العلماء هم الزعماء والمصلحين، الذين يدافعون عن حقوق الشعب ويبصرونه بهذه الحقوق، وكانت السلطات الحكمة تستجيب للعلماء والفقهاء لأسباب كثيرة منها أن سلاطين الدولة الأيوبية كانوا يعتمدون على الفقهاء ورجال العلم في الدعوة إلى الجهاد ضد الأعداء وحث الناس على البذل والعطاء قبل المعركة، كما كان هؤلاء يشتركون بأنفسهم في الحروب للتحريض على القتال وتبصير الجنود بمعنى الجهاد، وبث الروح المعنوية بينهم[50]، هذه المكانة للعلم والعلماء جعلت الحكام والأمراء يغدقون على العلماء والطلاب لتمكينهم من أداء دورهم في تعليم العلم وتعلمه.

وأصبحت مصر خاصة محور النشاط العلمي في زمن الدولة الأيوبية، وقد ذكر إبن خلدون في مقدمته أن تقدم العلوم وتطورها تابع للتطور العمراني والحضاري مشيرا بذلك إلى أسباب النهضة العلمية في مصر في زمن صلاح الدين الايوبي. وقد كان حكام وسلاطين بني أيوب يحبون العلم والعلماء، ومن هؤلاء الملك الكامل عم صلاح الدين الأيوبي فقد قال عنه المقريزي :"وكان يحب العلم وأهل العلم ويحب مجالستهم أيضاً، واهتم بسماع الحديث النبويّ، وأعطى دروساً في الحديث وبنى دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وكان يناظر العلماء ويمتحنهم بمسائل صعبة من فقه ونحو، فمن أجاب عنها حظي عنده، وكان يبيت عنده بقلعة الجبل عدّة من أهل العلم على أسرّة بجانب سريره ليسأمروه، وكان للعلم والأدب عنده نفاق، فقصده الناس لذلك، وصار يطلق الأرزاق الدارة لمن يقصده لهذا، وكان مهابا حازما سديد الرأي حسن التدبير

---

[49] جمال على الدهشان، *تكافؤ الفرص التعليمية المفهوم ومظاهر التطبيق في عصور الإزدهار الإسلامي*، مجلة العلوم النفسية والتربوية، كلية التربية جامعة المنوفية، السنة التاسعة، العدد الثالث، 1993م، ص. 32.

[50] علي سالم النباهين، *نظام التربية الإسلامية في زمن الدولة الأيوبية في مصر*، دار الفكر، القاهرة ط أولى، 1981، ص. 123.

عفيفا عن الدماء، وكان يباشر أمور مملكته بنفسه من غير اعتماد على وزير ولا غيره، ولم يستوزر بعد الصاحب صفيّ الدين عبد الله بن عليّ بن شكر أحداً، وإنما كان ينتدب من يختاره لتدبير الأشغال ويحضر عنده الدوأوين ويحاسبهم بنفسه".[51]

وعلى نفس الدرب صار السلطان صلاح الدين فإنه لما ملك الديار المصرية لم يكن بها شيء من المدارس فإن الدولة المصرية كان مذهبها مذهب الإمامية فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء فعمر السلطان صلاح الدين بالقرافة الصغرى المدرسة المجأورة للإمام الشافعي رضي الله عنه وبنى مدرسة مجأورة للمشهد المنسوب للحسين إبن علي رضي الله عنهما بالقاهرة، وجعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء المصريين خانقاه ووقف عليها وقفا هائلا وكذلك وقف على كل مدرسة عمرها وقفا جيدا وجعل دار عباس الوزير العبيدي مدرسة للحنفية وأوقف عليها وقفا جيدا أيضاً وهي بالقاهرة وبنى المدرسة التي بمصرالمعروفة بإبن زين التجار للشافعية ووقف عليها وقفا جيدا وبنى بالقصر داخل القاهرة بيمارستانا وأوقف له وقفا جيدا وله بالقدس مدرسة وخانقاه.[52]

والواقع أن مظاهر النشاط العلمي في ذلك العصر، لا تتمثل فقط في تلك العمائر التي شيدت في مصر من مساجد ومدارس وخاقانات إلخ، وإنما تتمثل أيضاً في ذلك التراث الرائع الضخم الذي خلفه العلماء والفقهاء والأدباء في مؤلفاتهم التي ما زالت تعتبر في طليعة مراجع البحوث والدراسات في شتى ألوان الثقافة الإسلامية، هذا بالإضافة إلى الإسهامات التي تدعمها علماء هذا العصر في مجال علوم الطب والفلك والكيمياء والفيزياء والرياضيات والحيوان والنبات والجيولوجيا[53]، وبهذا كثرت المدارس وانتشر العلم في زمن صلاح الدين انتشاراً عظيما حتى قال إبن بطوطة :"واما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها"

---

[51] المقريزي، *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار الخطط المقريزية*، ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987، ج3، ص. 323.

[52] إبن تغري بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، ج6، ص. 56 بدون بيانات.

[53] عبد الرحمن ذكي، *بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية من تراث مصر العلمي في العصر المملوكي*، مؤسسة شباب الإسكندرية ط أولى، 1983، ص. 22.

ومن تلك المدارس التي أنشئت في زمن الناصر صلاح الدين المدرسة الناصرية في مصر وقد عرف العالم الإسلامي في ذلك الوقت أنواعا عديدة من المؤسسات الدينية والعلمية شملت في معظمها المدارس والمساجد والزوايا والربط والبيمارستانات، وغيرهما من المرافق و المراكز الأخرى، فالمدارس على سبيل المثال، التي كانت قائمة في مختلف البلدان الإسلامية، لم تكن بصورة عامة مؤسسات رسمية تابعة للدولة، بل أنها كانت تنشأ بإسم أشخاص معينين سواء من أمراء أو وجهاء، فلم يكن من واجب الدولة الأنفاق عليها، بل كانت المدارس تنشأ بموجب وقفيات شخصية تتضمن شروط الواقف لإنشاء المدرسة ونظامها، وتبين أهدافها وطرق إدارتها وتحدد عدد طلابها وتعيين أوقافا توقف على المدرسة للأنفاق عليها ضمانا لاستمرارها، وهذه الأوقاف اما أن تكون عقارات في المدن كدور للسكن، والحوانيت والطواحين أو أية عقارات أخرى تدر دخلا، وينفق منها على المدرسة وريع الأوقاف هو وحده مصدر التمويل والأنفاق، ولذلك فان المدرسة كانت تزدهر بمقدار إزدهار العقارات الموقوفة عليها[54].

ومن حسنات نظام الوقف على المدارس أن أبواب العلم فتحت أمام الفقراء، إذ عنيت أوقاف المدارس بتدريسهم وأكلهم وشربهم ومنامهم واستحمامهم ومعالجتهم[55]، وكان هذا واضحاً في العهد الأيوبي، إذ شهد هذا العهد نشاطا ملحوظا في الحياة العلمية والحركة الثقافية في بلاد الشام على الرغم من الظروف السياسية والعسكرية التي تعرضت لها المنطقة خلال تلك الفترة [56]، وكان من أهم مظاهر هذا النشاط إهتمام ملوك وحكام بني أيوب بإنشاء المراكز والمؤسسات العلمية وأهمها المدارس، وقد حرص منشئو هذه المراكز التعليمية على توفير مصدر دخل ثابت يكفل لمنشأتهم التعليمية

---

[54] كامل جميل العسلي، *"معاهد العلم في بيت المقدس"*، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 1402هـ/1981م، ص. 23.

[55] كامل جميل، *معاهد العلم*، ص. 23.

[56] العماد الكاتب الاصفهاني، *"الفتح القسي في الفتح القدسي"*، تحقيق محمد محمود صبح، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1424هـ / 2003م، ص. 137 – 138.

الاستمرار في تقديم خدماتها، ومن أجل ذلك رصدوا لها الأوقاف الوفيرة التي تضمن للملتحقين بها العيش في مستوى مناسب يمكنهم من الأنصراف إلى طلب العلم دون عناء كبير[57].

وكان لنظام الأوقاف على المدارس في العهد الأيوبي دوراً كبيراً في دعم وتفعيل الحياة العلمية والحركة الثقافية، إذ أن الأيوبيين بتطبيقهم هذا النظام اثبتوا حرصهم وتشجيعهم لتطوير واستمرارية الحياة العلمية، فإهتموا برعاية طلبة العلم وكفلوا لهم النفقة والكسوة والطعام والإقامة، انطلاقا من أن التفرغ للعلم والدرس وملازمة الشيوخ، لا يحصل إلا بتكفية طالبيه أمر السعي في أسباب العيش، ولعل هذه الرعاية والعناية التي حظي بها طلاب العلم في معظم فترات العهد الأيوبي كانت سببا في شيوع العلم بين عدد كبير من أفراد المجتمع وعلى الأخص الفقراء والأيتام، فكثيراً ما تهيأت أمامهم السبل لتحصيل العلم والاشتغال به دون عائق، وقد دفع هذا الوضع الكثير من طلاب العلم في مختلف أنحاء الدولة الأيوبية آنذاك إلى أن يجعلوا من بلاد الشام، في كثير من الأحيان مقصد استقرارهم واشتغالهم بالعلم، لما زخرت به من مراكز تعليمية، تحفل أغلبها بكافة سبل الرعاية والتشجيع التي كانت تقدم للنازلين فيها[58].

كذلك إهتم بعض حكام بني أيوب عموماً و صلاح الدين الأيوبي خصوصاً وذلك عندما انتقل الحكم من الفاطميين الشيعة الى الأيوبيين السنة، كان أول ما عهد اليه صلاح الدين و خلفائه هو اغلاق معاهد الدعوة الشيعية و مذاهبها، وتأسيس المدارس السنية. فأنشأ صلاح الدين على غرار مدارس حلب ود مشق والاسكندرية وغيرها من المدن الكبرى[59] وعلى الرغم من أن صلاح الدين كان شافعي المذهب فقد حرص على

---

[57] أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، *"طبقات الشافعية الكبرى"* تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت جـ. 4، ص. 222.

[58] إسماعيل بن علي بن محمود أبو الفداء، *"المختصر في أخبار البشر"*، علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م جـ.2، ص. 157.

[59] محمد مصطفى زيادة، *الدولة الأيوبية*، ص. 477.

أن يكون لكل مذهب مدارسه الخاصة وقضلته، وبقيت هذه العادة من بعده، وساعدته هذه المدارس على التخلص من كل آثار الشيعة، وحلت محل الأزهر الذي لم يشترك في نشر التراث السني إلا بعد فترة[60].

ومن المدارس التي أنشأها صلاح الدين المدرسة المعروفة بالصالحية الناصرية بجوار مدافن الامام الشافعي، وقد زارها الرحالة ابن جبير، ووصفها قائلاً وبنى بازائه مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها، لا أوسع ولا أحفل بناء، يخيل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته.

ويعتبر العصر الأيوبي في مصر امتداد للعصرين الطولوني والاخشيدي، فيما يتعلق بالعلوم التي نهض بها المصريون، وهي علوم الحديث والتفسير والقراءات والنحو والبلاغة.

وقد أحرز العصر الأيوبي تقدماً ملموساً في تلك العلوم على ايدي علماء كان لهم شهرتهم ومؤلفاتهم، وقد أعانهم على ذلك حكام الدولة الأيوبية الذين كانوا يميلون بطبعهم إلى العلم ويحبون الفقهاء، بل كان منهم الفقيه والنحوي والكاتب والشاعر والمؤرخ، ولولا ذلك لما استطاع العصر الأيوبي أن يحقق نهضة علمية زاهرة[61]

وكما نرى أيضاً أن مصر و في عصر الولاة عرفت التصوف الاسلامي، وظهر فيها أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم المصري المعروف بذي النون، الذي كان أقطاب الصوفية و مؤسسها في مصر.

وقد ظل التصوف في مصر ظاهرة فردية حتى بداية العصر الأيوبي في أواخر القرن السادس الهجري وذلك أن صلاح الدين الأيوبي لم يكتف بانشاء المدارس السنية للقضاء على الممذهب الشيعي، بل رأى أن يحارب المذهب الشيعي بنفس سلاحه، ونعني بذلك التصوف، فقط استغب الفاطميون التصوف لنشر مذهبهم.

---

[60] مصطفى السقا، *الحياة الأدبية في مدينة القاهرة*، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس - ابريل 1969 جـ. 3، ص. 62.

[61] عبد اللطيف حمزة، *الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية*، ص. 35.

ومن الثابت أن صلاح الدين استغل هذه الناحية نفسها للقضاء على آثار المذهب الشيعي عن طريق التصوف السني ورغم ذلك ظل التصوف هادئاً قليل الأثر، ولم يشتد تياره في الحياة الاجتماعية والدينية إلا في عصر سلاطين المماليك[62]

وكان صلاح الدين الأيوبي أول من أنشأ بيتاً للصوفية في مصر سنة 569 هـ وهو الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء وقد جعل صلاح الدين هذا الخانقاه للفقراء الصوفية القادمين من البلاد الاسلامية، وأوقف عليهم عدة جهات، ورتب لهم كل يوم طعاماً ولحماً وخبزاً وبنى لهم حماما بجوارهم، فكانت أول خانقاه أقيمت بمصر، ونعت شيخها بشيخ الشيوخ، وشرط صلاح الدين أن من مات من الصوفية وترك عشرين ديناراً فمادونها كانت للفقراء، ولا يتعرض لها ديوان الصوفية هم الملوك بهذه البلاد، لأنهم قد كفاهم الله مؤن الدنيا وفضولها، وفرغ خواطرهم لعبادته من الفكرة الفكرة في أسباب المعايش، وأسكنهم في قصور تذكرهم قصور الجنان... وهم على طريقة شريفة، وسنة في المعاشرة عجيبة، وسيرتهم في التزام رتب الخدمة غريبة، وعوائدهم من الاجتماع للسماع المشوق جميلة ... وبالجملة فأحوالهم كانت بديعة. كما اشتهر زمن صلاح الدين بأدبائه أيضاً وبحب صلاح الدين للعلماء و الأدباء فقرب الأدباء إليه، ويكفي الإشارة إلى أن القاضي الفاضل المتوفي عام 596 هـ، كان وزيره ووصل إلى مكانة سامية في الدولة الأيوبية، وعرف القاضي عدداً ضخماً من الرسائل كان لها قيمة تاريخية كبرى إلى جانب قيمتها الأدبية.

وعرف القاضي الفاضل كيف يخرج بمصر من عزلتها الثقافية، فاجتذب إليها العلماء والباحثين من مختلف الأقطار[63]

ومن أشهر الأدباء في العصر الأيوبي العماد الأصفهاني المتوفي سنة 597 هـ والذي قال عنه المقريزي[64]: من العلماء المتقنين فقها وخلافاً وأصولاً ونحواً ولة. وله معرفة بالتواريخ وأيام الناس. وله في البلاغة والإنشاء والنظم والنثر اليد الطولي

---

[62] محمد محمد أمين، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر*، ص. 204 - 205.
[63] مصطفى السقا، *الحياة الأدبية في مدينة القاهرة*، ص. 61.
[64] تقي الدين المقريزي، *المقفى*، جـ.7، ص. 205.

والباع الممتد. وإليه تشد الحال في ذلك عليه تعقد الخناصر، وان من محاسن الزمان لم تر العيون مثله،

وللعماد الأصفهاني من الكتب التاريخية كتاب "البرق الشامي" وقد سماه بهذا الإسم لأنه شبه أوقاته التي قضاها في الشام بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها، وضوضع كتاباً في أخبار الدولة السلجوقية سماه "نصر الفطرة" وألف كتاب "خريد لقصر و جريدة العصر"

ذكر فيه تراجم أدباء القرن السادس الهجري، وله كتاب سماه "نحلة الرحلة" ذكر فيه الأحوال بعد موت صلاح الدين و اختلاف أولاده من بعده[65].

ومن أشهر المؤرخين المصريين في العصر الأيوبي علي بن يوسف القفطي، ولد بمدينة قفط من أعمال قنا سنة 568 هـ ومات بحلب سنة 646 هـ درس في حدائته العلوم العربية الإسلامية، وكان جماعة للكتب، حريصاً عليها، وساعدته هذه العادة الحميدة على تأليف عدد كبير من الكتب أغلبها في التاريخ، لم يصلنا منها إلا كتاب "اخبار العلماء بأخبار الحكماء"[66] وله كتاب تاريخ النحاة المعروف باسم "إنباء الرواة على أنباء النحاة"[67]

وقد نبغ في مصر زمن الأيوبيين عدد من الشعراء المبرزي، نذكر منهم القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك المتوفي سنة 608 هـ له ديوان موشحات اسمه "در الطراز" به موشحات من نظمه ومن نظم شعراء من المغرب والأندلس، وله كذلك ديوان شعر يشتمل على أكثر من ثمانين قصيدة مدح فيها القاضي الفاضل وصلاح الدين وأولاده[68].

ومنهم علي بن المنجم المتوفي سنة 616 هـ كان أشعر أهل زمانه وأفضل أقرانه وكان من أعلام أدباء مصر المشاهير[69]

---

[65] عبد اللطيف حمزة، *الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية* ، ص. 322 - 323.
[66] أحمد بدوي، *الحياة العقلية الصليبية*، ص. 273-275.
[67] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، *حسن المحاضرة*، جـ ،1، ص. 554.
[68] عبد اللطيف حمزة، *الأدب المصري*، ص. 115.
[69] السيوطي، *حسن المحاضرة*، جـ 1، ص. 565.

ومنهم أيضاً جمال الدين بن مطروح المتوفي سنة 450 هـ وأصله من صعيد مصر، ولد ونشأ به، ثم قدم إلى القاهرة وبرع في الأدب والكتابة، واتصل بخدمة السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وهو أحد الشعراء المجيدين، وديوان شعره مشهور[70].

ومن أشهر شعر مصر في العصر الأيوبي بهاء الدين زهير المتوفي سنة 656 هـ ولد بمكة سنة 581 هـ ثم رحل مصر أول عهده بالشباب، واختار مدينة قوص بالصعيد للاقامة بها، ثم تركها إلى القاهرة، واتصل بخدمة السلطان الصالح نجم الدين أيوب، فكان رئيساً للكتاب بديوان الانشاء[71].

وينقسم شعر البهاء زهير إلى قسمين أولهما الشعر الرسمي الذي قيل في مدح السلاطين والملوك والأمراء وكبار رجال الدولة وثانيهما الشعر التلقائي أو الذاتي، وفيه الغزل ووصف مجالس الشراب والهجاء والسخرية، وفي هذا القسم تتجلى الروح المصرية في شعر البهاء زهير، ويظهر تأثره بالبيئة المصرية والتقاليد والعادات المصرية[72].

وقد أنجبت أسوان ثلاثة شعراء بارزين ظهروا ف العصر الأيوبي، أولهم الحسن بن علي بن ابراهيم الأسواني المعروف بالمهذب بن زبير المتوفي سنة 561 هـ وقد ذكره العماد الأصفهاني في الخريدة قائلا: لم يكن بمصر في زمنه أشعر منه، و أنه أعرف به من أخيه الرشيد[73].

أما ثاني الشعراء الذين أنجبتهم اسوان فهو علي بن أحمد بن عزام الأسواني، وقد أثنى عليه العماد ووصفه بأنه شيخ من أهل الأدب بأسوان، وقد مات في حدود سنة 580 هـ.

---

[70] إبن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، جـ.7، ص. 27.
[71] إبن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، جـ.7، ص. 62.
[72] عبد اللطيف حمزة، *الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية* ، ص. 136 - 140.
[73] السيوطي، *حسن المحاضرة*، جـ.1، ص. 563.

أما ثالث الشراء الذين ظهروا في أسوان، فهو فخر الدولة الأسواني المتوفي بحلب سنة 581 هـ وقد كان شاعراً وكاتباً، كتب الإنشاء للسلطان صلاح الدين الأيوبي، ثم لأخيه العادل الأيوبي[74].

بالجانب الديني، فقد سعوا بمساندة بعض الفقهاء والقائمين علي أمور التعليم، إلي العناية بإحياء الشرع، وقمع البدع، وذلك من خلال إنشاء العديد من المراكز التعليمية، وتوفير مصادر تدر عليها دخلا منتظما، وتوجيه التعليم فيها نحو خدمة هذا الغرض ن متطلعين من وراء ذلك إلي حفظ الناس من الأنحراف عن الدين الإسلامي، من خلال تصحيح عقائدهم، وجمعهم علي مذهب أهل السنة، حتى يكونوا في منآي عن التيارات الفكرية المنحرفة، والمناهضة للدين الإسلامي، خاصة وأن زمانهم كانت تعصف ببعض مراحله المحن، وتنتشر فيه الاختلافات المذهبية، والفرق الدينية المنحرفة، ولذلك أرادوا إعداد جيل إسلامي يكون أقوي من أن تأخذ تلك الفتن والأنحرافات طريقها إلي عقولهم يضاف إلي ذلك، أن بلاد الشام قد تعرضت في بعض فترات ذلك العهد لظروف سياسية واقتصادية واجتماعية قاسية، الأمر الذي دفع البعض إلي التفكير بأن ما أصابهم من أزمات وويلات، سببه الابتعاد عن روح الدين الإسلامي ن ولذلك اتجهوا إلي فعل الخيرات، تقربا إلي الله تعالى، وطمعا في نيل أجره وثوابه، من خلال إنشائهم للمراكز التعليمية، والأنفاق عليها وعلي المشتغلين بها من طالبي العلم، ولقد كان الباعث الديني يمثل اتجاها قويا لدي عامة الناس في تلك الفترة، إذ اتجه عدد من أهل التقوي والصلاح وذوي البر والإحسان صوب المشتغلين بالعلم، وبذلوا في سبيلهم الأموال والممتلكات، علي اعتبار أن الإهتمام بهذا الجانب، يعني الإهتمام بالشرع الإسلامي، والعمل علي رفعته ونشره فقد وجدوا في إنشاء المدارس وغيرها من مراكز العلم، ورصد الأموال والممتلكات عليها، وعلي من فيها من علماء وطلاب، فرصة طيبة للبذل والعطاء، خاصة وأن الكثير من المراكز التعليمية كانت في تلك الفترة تعني عناية فائقة بالعلوم الشرعية، وبالتالي فإن الأنفاق علي تدريس تلك العلوم، وعلي المشتغلين بها، كان يعد هدفا دينيا، يرجى من وراءه حصول الخير والبركة في

[74] السيوطي، *حسن المحاضرة*، ج1 ، ص. 564.

الحياة الدنيا، ونيل الأجر والثواب في الحياة الآخرة، لقد كان نظام الوقف في معظم فترات العهد الأيوبي يمثل العمود الفقري للأنفاق علي التعليم، فقد حرص أغلب منشئي المراكز التعليمية المختلفة علي توفير أوقاف دارة، تقوم بتكفية نفقات تلك المراكز والمشتغلين بها، بحيث يكفل ذلك استمرارها في أداء وظيفتها ورسالتها العلمية، وبذلك تميزت أغلب المنشآت التعليمة في ذلك العهد بالاستقلال المالي، إذ غالبا ما كان الواقفون هم الذين يتولون أمورها المالية، وبمعني أن الدولة لم يكن لها جهات محددة مسئولة عن تمويل الخدمات الاجتماعية والثقافية والدينية، و إنما كانت تعتمد في ذلك على موارد الزكاة والصدقات، وأعمال البر الأخرى، فالأساس في توفير الإيرادات المالية الخاصة بالأنفاق على الخدمات الاجتماعية والثقافية والدينية، كان مصدره الأوقاف وأعمال البر والإحسان[75].

وقد كثرت وانتشرت الأوقاف الخاصة للانفاق على العلم وأهله في ذلك العهد، وإلى ذلك أشار ابن جبير، وبيّن كثرة الأوقاف المرصدة للمراكز التعليمية في بلاد الشام، إذ يقول: ''ولكل مشهد من هذه المشاهد أوقاف معينة من بساتين وأرض بيضاء ورباع، حتي أن البلد تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيه''[76] . و دفع هذا الأمر الكثير من طالبي العلم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، إلى الوفود لمنطقة بلاد الشام، حيث الأوقاف السخية، التي توفر أسباب العيش وتكفل لهم الاشتغال بالعلم، وتحصيله دون نصب وتعب، ولقد تسابق أهل الخير من أفراد المجتمع الشامي علي اختلاف مراتبهم ودرجاتهم وأجناسهم، إلي رصد الأموال النقدية والعينية، للأنفاق علي العلم وطلبته والمشتغلين به، ومما يذكر في هذا الموضوع: أن الضياء المقدسي، أبو عبد الله

---

[75] د. رياض مصطفى شاهين و رشاد عمر المدني، *الأوقاف وأثرها على الحياة العلمية في بلاد الشام في العهد الأيوبي*، الجامعة الاسلامية بغزة، 2006م، غزة، ص:4.

[76] محمد بن أحمد بن جبير "*تذكرة الأخبار في اتفاقات الأسفار*، والمسمى رحلة إبن جبير، دار الشرق العربي، بيروت، د ت ص. 213.

الجماعيلي بنى مدرسته الضيائيه بدمشق من اموال جمعها في جولاته المتعددة في كل من بغداد واصفهان ونيسايور والموصل،و أنفق على بنائها كل ما جمعه حينها[77].

هذا وقد جعلت هذه المدارس التي أنشئت والأوقاف التي انتشرت من عهد صلاح الدين عهدا مشرقا سواء في مصر أو بلاد الشام، إذ أصبحا محور استقطاب العلماء من جميع البلدان الإسلامية، لما كان يلاقيه الفقهاء من كريم العناية والرعاية، ولما كان يغدقه صلاح الدين عليهم من أعطيات ومنح كثيرة، فقد بلغت المرتبات للفقهاء والمدرسين بدمشق في عهده حوالي ثلاثمائة ألف دينار، وكان عددهم حوالي ستمائة مدرس وفقيه [78]، وقد كان الهدف من التوسع في تلك المدارس كما سبق القول هو القضاء على المناهج الفاسدة التي نبتت في زمن الدولة الفاطمية، إذ كان الفاطميون قد أفنوا من كان بمصر من أئمة المذاهب الثلاثة أو العلماء السنة بين القتل والنفي والتشريد أقاموا مذهب بتعاليمه المنافية لمصر وأهلها وأما ذروة الاضطهاد على أهل السنة في مصر آنذاك كان في أيام الحاكم بأمر الله الذي عرف بالتقلب في سياسته وأحكامه[79] وإعادة تثقيف الناس في أمور دينهم، ونشر العلوم الإسلامية الصحيحة فضلاً عن نشر اللغة العربية التي كادت أن تموت في بلادها، وتبصير عموم المسلمين بما يحيق بالأمة الإسلامية من الأخطار وتربية الأمة على فريضة الجهاد في سبيل الله وحثهم عليها، وقد تحقق ما أراده صلاح الدين الأيوبي، فعمت المدارس وانتشر العلم ونمت البركة، وعاد الناس جميعا إلى دين ربهم وسنة نبيهم، وماتت العقائد الفاسدة بفضل هذا الرجل الذي قيضه الله – عز وجل – لخدمة دينه فجزاه الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء.

---

[77] شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، *"سير أعلام النبلاء"* جزء17، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1418هـ/1997م جـ. 16، ص. 399.

[78] نعمان الطيب سليمان، *منهج صلاح الدين الأيوبي في الحكم والقيادة*، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية القاهرة، 1991، ص. 428، نقلا عن *خطط الشام*، ج4، ص. 39.

[79] السيوطي ، *حسن المحاضرة*، جـ.1، ص. 274.

3.2 جهود صلاح الدين في إحياء المذهب السني في مصر والشام

لكي نتعرف على الجهود الكبيرة التي صنعها الفارس المغوار، والقائد الهمام صلاح الدين الأيوبي في إحيائه للمذهب السني يجب أن نتعرف على حال الدولة الإسلامية زمن الدولة الفاطمية قبل قيام الدولة الأيوبية.

واستعان المعز لدين الله الفاطمي بكثير من الاطباء اليهود وما لبث أن عظم نفوذهم في بلاطه ومن أشهرهم يعقوب بن كلس اذ كان هذالرجل من أشهر علماء الدعوة الفاطمية الذين كان لهم أثر في الحياة الفكرية في مصر، كان مولده ببغداد من أسرة يهودية ثم أسلم، عاصر الدولة الاخشيدية ثم هرب من كافور وعاد مع جيوش المعز لدين الله الفاطمي فولاه المعز النظر في جميع أموره في قصره[80] وقد عكف ابن كلس على الدرس والبحث فتعمق في الدين الاسلامي حتى أصبح علماً من أعلام الدعوة الفاطمية فقد كان محباً للعلم والعلماء مشجعاً أن طلب العلم يغدق المنح والعطايا للكتاب والشعراء وكانت داره تغص بالنساخ والكتاب فمنهم من ينسخ القرآن الكريم والحديث والفقه وينقطون ويشكلون فمن مؤلفات ابن كلس: كتاب في القراءات، كتاب علم الأبدان وصلاحها، كتاب في الأديان وهو الفقه، مختصر الفقه وهو المعروف بالرسالة الوزيرية، كتاب في الأديان وهو في الفقه، مختصر الفقه وهو المعروف بالرسالة الوزيرية، كتاب في آداب الرسول[81] صلى الله عليه وسلم.

وصار يعقوب بن كلس الذي اسند اليه المعز بعض دواوين دولته يتحيز الى أخوانه في الدين من قبل. وارتقى يعقوب في المناصب حتى أصبح وزيراً للعزيز بن المعز، واليه يرجع الفضل في وضع قواعد الدولة ونظمها حينها، لكن ابن كلس توفي سنة 380 هـ حيث اجتمع الناس فيما بين القصر وداره لتشييعه إلى مقره الأخير. ودلالة على حب العزيز الشديد لابن كلس اذ قل العزيز بعد وفاة ابن كلس "وددت أنك تباع فأبتاعك بمالي أو تفدى فأفديك بولدي"[82].

---

[80] المقريزي، *الخطط*، جـ. 3، ص. 7.
[81] د. محمد كامل حسين، *في أدب مصر الفاطمية* ، ص. 55.
[82] المقريزي، *الخطط*، جـ.3 ، ص. 9.

وكذلك اتسم عهد العزيز بالتسامح مع النصارى، فزاد بلاطه في اكرامهم لما كان بينه وبينهم من صلة النسب، اذ تزوج من مسيحية وكان لها أخوان رفعهما العزيز الى ارقى مناصب الكنيسة، فعين احدهما بطريركاً للملكانيين ببيت المقدس سنة 375هـ وعين الثاني مطراناً للقاهرة، ثم رقى في عد الحاكم بطريركاً للميكانيين بالاسكندرية سنة 390هـ، وكان لهذه السيدة نفوذ عظيم على العزيز، فقد حملت على انتهاج سياسة التسامح مع المسيحيين واعادة بعض الكنائس. وبلغ من عطف العزيز على المسيحيين أن احتفل بأعيادهم ومواسمهم الدينية مشاركة لهم في شعورهم[83].

وقد انتشرت في زمن الدولة الفاطمية عقائد شتى من الشيعية والدرزية والباطنية إلخ، وفشا فيهم الفساد، وعم فيهم البلاء، وحول تعصب الفاطميين وتسامحهم فيخيل الى أن الفاطمييم كانوا يميلون الى صبغ البلاد كلها بصبغة مذهبهم احياناً بالترغيب وأحيانا بالترهيب. فكان الدعاة يؤدون واجبهم في تشكيك المسلمين في مذاهبهم السنية و يحببون إليهم المذهب الفاطمي فمن المصريين من استجاب لهذه الدعوة في رغبة بعد أن اقتنع بأقوال الدعاة[84]. ومنهم من استجاب لغرض التقرب الى الحاكمينعساه يجد حظوة لديهم وينال مآربه. وهذا اللون من الناس كثير في البيئات والاقاليم. ومن المصريين من امتنع عن التحول عن مذهبه الديني واستمر يحافظ على عقيدته التي دان بها والتي نشأ عليها أبواه ولو أدى ذلك الى تعسف الحاكمين معه واذا كان الفاطميون استعملوا السيف في سبيل نشر عقيدتهم واخضاع الخارجين على مذهبهم[85].

فلا نستطيع أن ننكر أن الفاطميين الذي حكموا مصر ألف عام تقريباً كانوا يستعملون وسائل ارهاب لمخالفي عقيدتهم ولا سيما أن الشيعة عامة ذاقت من العذاب والتنكيل على ايدي خصومهم فيما سلف.

---

[83] محمد جمال الدين سرور، *تاريخ الدولة الفاطمية*، ص. 81.
[84] د. محمد كامل حسين، *في أدب مصر الفاطمية* ، ص. 103.
[85] د. محمد كامل حسين، *في أدب مصر الفاطمية* ، ص. 103.

ومن أمثلة التعصب الفاطمي في عهد الحاكم بأمر الله الذي أمر بقتل جماعة من العلماء السنة وقتل اسامة بن محمد اللغوي والحسين بن سليمان الأنطاكي النحوي وفر ثالثهم عبد الغني بن سعيد وذلك بسبب اجتماعهم بدار العلم "دار الحكمة"[86].

كما أنه من الناحية المذهبية اتم الحاكم بتنكيله بأهل السنة بعد أن كان قد خفف عنهم القيود[87].

وأباح له دراسة مذاهبهم ومكنهم من ذلك في دار العلم التي أنشأها للدرس والبحث وهذا الاتهام يعوزه شيء نعرف الظروف التي أقدم الحاكم فيها على تقريب المالكية ثم على العدول إلى مذهبهم القديم، ذلك أن المعز بن باديس صاحب القيروان كتب ليه يستنكر بعض افعاله فاراد الحاكم أن يسترضيه ويسستميله اليه فاظهر اهتمامه بدراسة مذهب المالكية واحضر العلماء لمناظرتهم في مذهبهم وأمر بمحو سب الصحابة من المساجد والأسواق ونهى عن ذكرهم بغير ما يجب لهم من الاعزاز والتقدير ثم تغيرت الأحوال فعاد الحاكم إلى مذهبه القديم.

وازاء هذا التعصب ضد أهل السنة اضطر مفكرو السنة الى شحذ فكرهم لمقاومة الفاطميين. ولكن قاموا بذلك بعد أن استفحل الفاطميون في مصر ولكن جذوة أهل السنة لم تلتزم الهدوء بل ظهر منها رجال عظماء منهم القضاعي ابو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر المعروف بالقضاعي والذي ولد بمصر ودرس الفقه الشافعي والحديث على يد كبار شيوخها[88].

لذا لم يكن القضاعي شيعياً بل كان سنياً وكان فقيهاً شافعياً، وأبدى كل البعد عن التأثر بنفوذ القصر الفاطمي[89].

ونضيف أيضاً على ذلك بعض العلماء السنة الذين توددوا في عهد الفاطميين للبلاط ومنهم الشاعر الشهير ابو محمد عمارة بن ابي الحسن اليمني[90] وقدم الى مصر لأول مرة 550 هـ في خلافة الفائز بالله وفي عهد وزيره الصالح طلائع بن رزيك

---

[86] محمد عبد الله عنان ، *الحاكم بأمر الله* ، ص. 113.
[87] ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ. 2 ، ص. 166.
[88] وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر: *الأزهر تاريخه وتطوره*، ص. 337-338.
[89] محمد عبد الله عنان، *الحاكم بأمر الله*، ص. 222.
[90] ابن خلكان ، *وفيات الأعيان*، جـ.1، ص. 475.

سفيراً مبعوثاً من قبل أمير مكة ثم وفد عليها مرة أخرى أيام العاضد بالله وبقي فيها حتى وفاة العاضد وسقوط الدولة الفاطمية سنة 567 هـ ولم يكن عمارة شيعياً بل كان فقيهاً شافعياً ولكن لقى من الخلافة الفاطمية ومن وزارئها، من كرم الوفادة ومن وافر الرعاية والبر والجود ما غمر قلبه بالعرفان، ولبث على ولائه للفاطميين رغم زوال دولتهم.

وفي سنة 459 هـ اتهم مع جماعة من المصريين العلويين بالتآمر على صلاح الدين فقضى عليه بالاعدام معهم وأعدم صلباً.[91]

وقد تولّى الخلافة غيرهم طوائف وكان في بعضهم من البدعة والظّلم ما فيه، فلم يقدح النّاس في نسب أحد من أولئك كما قدحوا في نسب هؤلاء ولا نسبوهم إلى الزّندقة والنّفاق كما نسبوا هؤلاء وقد قام من ولد عليّ طوائف: من ولد الحسن وولد الحسين كمحمّد بن عبد الله بن حسن وأخيه إبراهيم بن عبد الله بن حسن وامثالهما ولم يطعن أحد لا من أعدائهم ولا من غير أعدائهم لا في نسبهم ولا في إسلامهم وكذلك الدّاعي القائم بطبرستان وغيره من العلويّين وكذلك بنو حمود الّذين تغلّبوا بالأندلس مدّة وامثال هؤلاء لم يقدح أحد في نسبهم ولا في إسلامهم وقد قتل جماعةٌ من الطالبيين على الخلافة لا سيّما في الدّولة العبّاسيّة وحبس طائفةٌ كموسى بن جعفر وغيره ولم يقدح أعداؤهم في نسبهم ولا دينهم.

والراجح أن الفاطميين اشتقوا عقائدهم من مصادر شتى كما يتضح لنا ذلك من عرض الأمثلة التالية:

فمن عقائد الفاطميين قولهم بوصاية علي بن أبي طالب. وهي فكرة مأخوذة عن الشيعة الامامية وهم الذين لقبوا علي بن أبي طالب بهذا اللقب في حياته وأن ابن ابي طالب لم يرض بهذا القول وكما لم يرض بغيره من الاقوال التي ذهبوا فيها الى تقديسه، واستغلال مكانته أو نوع قرابته من النبي.

ومن عقائد الفاطميين القول بعصمة الأئمة. وأول من قال بذلك أيضاً الامامية. ويتضح لنا الاعتقاد بعصمة الأئمة من لفظ المهدي "وهو لقب الشرف الذي يلقب به

[91] محمد عبد الله عنان، *الحاكم بأمر الله*، ص. 369 - 370.

الأئمة من آل البيت، ومعناه الهادي الى الطريق المستقيم" ثم هو اللقب الذي خلعه الاثنى عشرية أيضاً على آخر ائمتهم كما رأينا.

ومن عقائد الفاطميين قولهم بالباطن. واول القائلين به فرقة الشيعة اسمها الكيسانية نسبة الى كسيان مولى علي بن ابي طالب وكانوا يقولون ''أن لكل ظاهر باطن، ولكل شخص روحاً ولكل تنزيل تأويل ولكل مثال في هذا العلم حقيقة في ذلك العالم، والمنتشر في الافاق من الحكم والاسرار مجتمع في الشخص الانساني، وهو العلم الذي استأثر به علي عليه السلام وابنه محمد بن الحنفية وهذا أوصى بالسر الى ابنه هاشم وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الامام حقاً''.

ثم من عقائد الفاطميين أيضاً قولهم بالتخميس والتسبيع، حتى أن الائمة السنة مثل ابن تيمية وابن الجوزي سموهم بالمسبعة والمهم هو أن فكرة التخميس هي فكرة فارسية مانوية وأن فكرة التسبيع فكرة بابلية، فأخذ الفاطميون هذه الافكار وأدخلوها في عقائدهم.

ولقد أتى الفاطميون مصر بغزوها بسيوفهم، وكما غزوها بعقائدهم وميولهم واتخذوا لذلك طرقاً تدل على مكرهم، فاستعانوا في الترويج لدعوتهم بالسيف والقلم والسياسة والعلم والدين والأدب جميعاً.

وقد اتجهوا منذ بداية أمرهم الى المساجد فجهزوا فيها بشيء من آرائهم وبشروا فيها بجزء من عقادئهم ثم أذنوا فيها "بحي على خير العمل" وهو أذان الشيعة وحدهم، ولا تعرفه فرقة غيرهم، فكان ذلك ايذاناً منهم بحرب طاحنة لم يكن بد من وقوعها بين مذهب الشيعة الذي تبشر به حكومة الفاطميين، ومذهب السنة الذي كانت عليه الكثرة المطلقة من الشعب المصري الى ذلك الحين.

وقيل ولما دخل المعز أمر أن تكتب على سائر الأماكن بمدينة مصر : خير الناس بعد رسول الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

وكان أيسر ما لاقاه الفاطميون من هذا الشعب السني أنه اعلن شكه في نسب القائمين بها وغاظ ذلك الفاطميين حتى قيل أن بعض الاشراف اجتمعوا بالمعز عند وصوله الى مصر فسأله أحدهم ما نسبه؟ فأجاب المعز أنه سيعقد مجلساً يعلن فيه هذا

النسب واجتمع الناس في هذا المجلس فسل المعز سيفه إلى النصف وصاح فيهم "هذا نسبي" ثم نثر عليهم الذهب وقال " وهذا حسبي " فأجاب الاشراف والناس "سمعنا وأطعنا" وهذه حكايا مشهورة. وكان الخلفاء الفاطميين يعانون جهداً عظيماً في ازالة ما علق باذهان الناس في مصر من الشك في نسبهم ومازالوا كذلك حتى استقرت امورهم نهائياً في تلك البلاد[92].

ما كادت الخلافة الفاطمية تفرغ من نشر مذهبها والتكمين لدعوتها حتى اتهمت فيما بعد بايذاء المستمسكين في مصر بمذهب أهل السنة، فقيل "انه في سنة احدى وثمانين وثلاثمائة هجرية ضرب رجل بمصر وطيف به المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب الموظأ لمالك بن أنس" وهي عبارة نقلها المقريزي[93] .

وكانوا في نفس الوقت في الحذق والمهارة بحيث استطاعوا أن يلتفوا إليهم نظر الشعب المصري لفتاً قوياً، وأن يشعروه بعظمة الحكم الفاطمي وكرم رجاله الى الحد الذي لم تعرف له مصر نظيراً قبل مجيء هذه الدولة. وكان من الاشياء التتي اعتمد عليها الفاطميون للوصول الى أغراضهم السياسية والمذهبية ما أظهروه يموئذ من العناية العظمى بالمواسم العامة، فزادوا في بهجة الرعية وتوددوا اليها وملاوا أفواه زعمائها وشعرائها وعلمائها. وكأن هذه الأعياد نفسها كانت جزءاً هاماً من برامج الدعوى السياسية، التي فطنت لها الخلافة الفاطمية ونجحت في تنفيذها نجاحاً لا مثيل له[94].

ولهذا أخذ الناصر صلاح الدين على عاتقه أن يحارب المذهب الشيعي بكل ما أوتى من قوة، وأن يعمل على إحياء المذهب السني، ولهذا فأول ما صنعه صلاح الدين بعد توليه الخلافة أن شمر عن ساعديه للقضاء على هذا المذهب، والعمل على انهاء الخلافة الفاطمية وتم له ما أراد وبذلك عادت إلى مصر السلطة الروحية للخليفة

---

[92] د. عبد اللطيف حمزة، *الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول*، دار الفكر العربي، ص. 37 - 38.

[93] المقريزي ، *الخطط* ، جـ. 4 ، ص. 157.

[94] د. عبد اللطيف حمزة، *الحركة الفكرية في مصر* ، ص. 57.

العباسي [95]، ولكي يتحقق له ما أراد فقد عمل صلاح الدين على القضاء على أعدائه وقمعه للحركات المعادية له، ومن ذلك ما صنعه مع مؤتمن الخلافة الذي خطط للتخلص من صلاح الدين وقتله ولكن صلاح الدين كان له بالمرصاد واحتال له حتى تمكن من قتله وقمع حركته المعادية لهولم تنته تلك المؤأمرات التي حيكت ضد صلاح الدين لأنهاء الخلافة الأيوبية وإعادة الخلافة الفاطمية بل تعددت وتكررت تلك المحأولات الفاشلة، ومن ذلك تلك المؤأمرة التي دبرت من قبل عمارة اليمني الذي استعان بالصليبيين للتخلص من حكم صلاح الدين الأيوبي ولكن سرعان ما علم بذلك الناصر صلاح الدين الأيوبي واحتال لها وتمكن من القبض على مدبرها وأعمل فيه السيف وقتله، وقد كان الفضل الأكبر في الكشف عن تلك المؤأمرة يرجع إلى الفقيه إبن نجا الذي سرعان ما أخبر صلاح الدين وكشف له عن خيوط تلك المؤأمرة واستطاع صلاح الدين إخمادها والقضاء عليها [96] وتلك المؤأمرة تلتها مؤأمرة أخرى من ذلك ما عرف بثورة الكنز التي ترأسها كنز الدولة الذي كان واليا على أسوان حيث قام هذا المجرم ببسط سيطرته على مدن وقرى صعيد مصر، وأعلن تمرده على الخليفة الناصر صلاح الدين، ونادي بعودة الخلافة الفاطمية، وأنهاء الخلافة الأيوبية، ولكن استطاع المظفر صلاح الدين القضاء على تلك الثورة بالجيش الذي أرسله بقيادة أخيه العادل وتم القضاء على هؤلاء الخونة وخمد نيران تلك الفتنة وكتب النجاح فيها لصلاح الدين [97].

ومن حيث الخلافة فقد أتى صلاح الدين إلى مصر ليرد فيها الأمر إلى نصابه، فقضى على الخلافة المصرية الجديدة، وأعاد الخطبة لبني العباس. أما من حيث "الوزارة" فقد اتخذ سلاطين بني أيوب لأنفسهم وزراء تنفيذ كانوا يرجعون في كثير من الأمر إليهم، وكانوا يعتمدون كثيراً على فطنتهم وحسن سياستهم، كما فعل السلطان

---

[95] ترجمة منصور أبو الحسن، *الشرق الإسلامي في العصر الوسيط*، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، 1986، ص. 273.

[96] ابن واصل، *مفرج الكروب*، ج1، ص. 243- 246

[97] ابن واصل، *مفرج الكروب*، ، ج1، ص. 16.

صلاح الدين مع وزيره العظيم عبد الرحيم بن علي البيساني المعروف بالقاضي الفاضل ومع ذلك فقد كان في استطاعة السلاطين في الدولة الأيوبية أحياناً أن يستغنوا عن خدمات الوزير، ولأن السلطان الأيوبي كان كثيراً ما يتغيب عن الديار المصرية بسبب اشتغاله بالحروب الصليبية وغيرها من الحروب في الشرق[98].

وكان مقصود مؤتمن الخلافة أن يتحرك الفرنج إلى الديار المصرية فإذا وصلوا إليها خرج صلاح الدين في العساكر إلى قتالهم فيثور مؤتمن الخلافة بمن معه من المصريين على متخلفيهم فيقتلونهم ثم يخرجون بأجمعهم يتبعون صلاح الدين فيأتونه من وراء ظهره والفرنج من بين يديه فلا يبقى لهم باقية فلما قرأ الكتاب سأل عن كاتبه فقيل رجل يهودي فأحضر فأمر بضربه وتقريره فابتدأ وأسلم وأخبره الخبر وأخفي صلاح الدين الحال وأن مؤتمن الخلافة استشعر فلازم القصر ولم يخرج منه خوفا وإذا خرج لم يبعد من صلاح الدين وصلاح الدين لا يظهر له شيئاً من الطلب لئلا ينكر ذلك فلما طال الأمر خرج من القصر إلى قرية له تعرف بالخرقانية للتنزه فلما علم به صلاح الدين أرسل إليه جماعة فأخذوه وقتلوه وأتوا برأسه وعزل جميع الخدم الذين يتولون أمر قصر الخلافة واستعمل على الجميع بهاء الدين قراقوش وهو خصي أبيض وكان لا يجري في القصر صغير ولا كبير إلا بأمره فغضب السودان لقتل مؤتمن الخلافة للجنسية ولأنه كان يتعصب لهم فحشدوا وجمعوا فزادت عدتهم على خمسين ألفا وقصدوا حرب الأجناد الصلاحية فاجتمع العسكر أيضاً وقاتلوهم بين القصرين وكثر القتل في الفريقين فأرسل صلاح الدين إلى محلتهم المعروفة بالمنصورة فأحرقها على أموالهم وأولادهم فلما أتاهم الخبر بذلك ولوا منهزمين فركبهم السيف وأخذت عليهم أفواه السكك فطلبوا الأمان بعد أن كثر فيهم القتل فأجيبوا إلى ذلك فأخرجوا من مصر إلا الجيزة فعبر إليهم شمس الدولة أخو صلاح الدين الأكبر في طائفة من العسكر فأبادهم بالسيف ولم يبق منهم إلا القليل الشريد.

---

[98] د. عبد اللطيف حمزة، *الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول*، دار الفكر العربي، ص. 48.

وكفي الله تعالى شرهم والله أعلم ذكر ملك شملة فارس واخراجه عنها في هذه السنة ملك شملة صاحب خوزستان بلاد فارس وأخرج عنها[99]

حتى إذا أخذ صلاح الدين بن أيوب بملك مصر والشام كامل الاستقلالية و محا أثر الفاطميين وخرافاتهم[100].

وبعد أن تمكن الناصر صلاح الدين من إتمام خططه للتخلص من المتربصين به عمل على إبطال المذهب الشيعي والتحرك في إبطال المعتقدات الفاسدة ومن ذلك عمله على نشر المذهب الشافعي، ومذهب الإمام مالك، وإلى ذلك يشير العلامة المقريزي بقوله: فلما انهارت الدولة الفاطمية على يد القائد صلاح الدين الأيوبي والذي أبطل مذاهب الشيعة من ديار مصر، وأقام بها مذهب الشافعية، ومذهب المالكية، واقتدى بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، فإنه بنى بدمشق وحلب وأعمالهما عدّة مدارس للشافعية والحنفية، وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر.

وأول مدرسة أحدثت بديار مصر المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر، ثم المدرسة القمحية المجأورة للجامع أيضاً، ثم المدرسة السيوفية التي بالقاهرة، ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر وبالبلاد الشامية والجزيرة أولاده، وأمراؤه، ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وأمرائهم وأتباعهم إلى يومنا هذا[101].

وفي زمن وزارة صلاح الدين في الدولة الفاطمية كان المذهب الشيعي الإمامي ساطع النجم، وكان قد أظهر الفوارق بين فقه الإمامية، وفقه المذاهب السنية فرق من حيث الميراث، وبنود قانون الحقوق الاسلامي المتعارف عليها منذ العهد الراشدي،

---

[99] علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني أبو الحسن ابن الأثير ، *الكامل في التاريخ*، دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت 1415هـ، الطبعة: ط2، تحقيق: عبد الله القاضي، ج 10 ، ص. 19 و *الوافي بالوفيات*، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار النشر: دار إحياء التراث بيروت، 1420هـ 2000م، تحقيق:(أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى.)

[100] زين الدين عمر بن مظفر الشهير بإبن الوردي، *تاريخ إبن الوردي*، دار الكتب العلمية، 1417هـ 1996م ج 2، ص. 180.

[101] المقريزي، *المواعظ والاعتبار*، ج 3 , ص. 109.

وجاء صلاح الدين إلى مصر ليرد الحق فيها إلى نصابه، ويعيد فيها الأمر إلى سيره الأول.

وبالرغم من وجود الخلاف في معظم المسائل الفقهية فإننا بين الإمامية والمذاهب السنية ولكن هناك قرابة بين مذهب مالك وذلك بسبب نشأة الإمامية مع الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، وبالمغرب كان الفقه المالكي يسيطر هناك ولا مزاحم له، فلما أتى الفاطميون مصر كانت السيطرة المذهبية موزع بين المالكية والشافعية، افستطاع الفاطميون أن يجدوا لأنفسهم طريقاً بينهما.

وقد عرفنا من قبل أن القول بالتأويل أصل من أصول المذهب الفاطمي، فمن حقنا إذن أن نستنبط أ نالفقه الفاطمي لا بد أنه اعتمد كثيراً على التأويل. ونعني بالتأويل هنا تأويل كل شيء حتى الشعائر الدينية، فليس يبعد أن يكون للفاطميين من الشعائر الدينية موقف يخالفون به موقف الجماعة من أهل السنة.

غير أنه وبزوال الدولة الفاطمية زال كذلك المذهب الفقهي لهذه الدولة جملة، وعادت مصر إلى مذهبها القديم، وهو مذهب أهل السنة، وازداد تعلقها يومئذ بالامام الشافعي ومذهبه خاصة. والمذهب الشافعي هو الذي اعتنقه نور الدين محمود بالشام واعتنقه السلطان صلاح الدين وأولاده بمصر. ولا يعلم التاريخ من أبناء صلاح الديم أو من أسرته كلها من اعتنق مذهباً آخر غير الملك المعظم عيسى بن أخي السلطان صلاح الدين. وقد اختار المعظم عيسى لنفسه مذهب أبي حنيفة، وكان في اختياره هذا مخالفاً للبيت الأيوبي كله.

وأتى فيما بعد المماليك فتتبعوا بني أيوب في اختيارهم مذهب الامام الشافعي، وبقي الحال هكذا مدة طويلة من الزمن.

أما عند القياس بين حركتي الفقه الإمامية والسنية آنذاك فيمكننا القول بأن الفقهاء آنذاك كانوا مجتهدوا مذهبهم، فقد حصر الفاطميون أنفسهم في دائرة الفقه الاسماعيلي أو الفاطمي، وحصر أما السنة الأيوبية فحصروا أنفسهم في دائرة المذهب السني. ولكن وعلى الأكثر كان الفقهاء الإمامية يميلون أكثر للاجتهاد وذلك لأنه كان يتوجب

عليهم دوماً أن يواجهوا حالات جديدة، ومسائل كثيرة، يعملون فيها عقولهم، ويضيفون من أجلها إلى فقههم ماليس فيه قبل.

أما الفقهاء السنة فقد كان أكثرهم يميلون إلى المهب الشافعي، واستطاع الكثيرون منهم أن يصلوا في هذا المذهب نفسه إلى درجة الاجتهاد. [102]

والميراث الفقهي في عهد صلاح الدين لأهل السنة كان يعتمد على فقه المذاهب الأربعة التي انقسم اليها أهل السنة.

وفي البيئة التي تهتم بعلوم الدين يحتل الحديث وعلومه مكان الصدارة، ويستأثر منها بكل عناية إذ كان كل عالم أو فقيه يتقن علم الحديث، ليأخذ الدين عن أصوله، ويتلقى الأحكام من صاحب الرسالة.

ولقد كانت مصر ومنذ الفتح الاسلامي مهبط للكثيرين من رواة الحديث من الصحابة، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص أكثر هؤلاء الصحابة رواية للحديث، وقد أفرد ابن عبد الحكم في نهاية كتابه "فتوح مصر" فصلاً خاصا بالأحاديث النبوية التي رواها المصريون . ثم اشتهر من كبار المدثين في مصر في القرن الثاني للهجرة الليث بن سعد، ومحمد بن ادريس الشافعي صاحب المذهب، وعبد الله بن وهب المصري صاحب كتاب "الجامع في الحديث".

ويهمنا بالأكثر محدثي القرن السادس الهجري والذين اشتهرت بهم في مصر وعلى رأسهم الامام الحافظ السلفي أبو عماد الدين أحمد بن محمد ابن أحمد الاصفهاني، والذي كان اماماً حافظاً متقناً ناقداً كما قال السيوطي وانتهى.

وكان لعهد صلاح الدين بشكل خاص وللفترة الأيوبية بشكل عام نمط ونظام تعليمي يجرى به في المدارس، اذ كان العلماء يحظون بمراتب و درجات فنية معينة مثلاً نقرأ عن أحد العلماء أنه تولى التدريس بإحدى المدارس على مذهب مالك أو الشافعي، وأن الآخر تصدر للاقراء أي اقرأ مذهب ملاك أو الشافعي، وأن ثالثاً كان يتولى الإعادة أعنى كان معيداً وهكذا.

---

[102] د. عبد اللطيف حمزة، *الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول*، دار الفكر العربي، ص. 198-200.

وكان المعلمين في المدارس يقسمون إلى ثلاثة أقسام أو طبقات وهي: طبقة لها الصدارة وهي الطبقة التي يشغل فيها الأستاذ وظيفة الصدر لإفراء مذهب من مذاهب الفقه.

وطبقة تأتي بعد ذلك وهي طبقة المدرسين وهم الذي يعينون الصدرين في شرح مادته.

ثم طبقة المعيدين وعددهم في المدرسة أكثر من عدد غيرهم في الغالب.

ونرى في خطط المقريزي واصفاً فيها مدرسة بناها صلاح الدين الأيوبي بجوار الامام الشافعي يقول "جعل فيها معيدين، وعدة من الطلبة، وولى تدريسها جماعة من أكابر الأعيان، ثم خلت من مدرس ثلاثين سنة، واكتفى فيها بالمعيدين، وهم عشرة أنفس"

ومعنى ذلك أنه لم يكن من الضروري دائماً أن تكون هيئة التدريس كاملة بالمدرسة الواحدة. بل كان من الجائز أن تخلو المدرسة من المدرسين، ما دام المعيدون فيها يقومون بالعمل.

والظاهر أن مدرس المدرسة كان له النظر في أوقافها أيضاً، وكان يؤجر على ذلك أيضاً كما يؤجر على التدريس نفسه. ويقول السيوطي واصفاً هذه المدرسة التي مر ذكرها، وهي المدرسة التي بناها صلاح الدين بجوار الشافعي.

وجعل التدريس والنظر بها للشيخ نجم الدين الخبوشاني، وشرط له من المعلوم في كل شهر أربعين ديناراً عن التدريس، وجعل له عن النظر في أوقاف المدرسة عشر دنانير، ورتب له من الخبز في كل يوم ستين رطلاً، وراويتين من ماء النيل[103].

أما الصدر فالظاهر أنه إمام العصر في الفقه أو الحديث أو التفسير، أو هو من أكبر الأئمة في عصره، وأكثرهم تمكناً من مادته، وعليه يتخرج الكثيرون من نوابغ المدرسين، واليه يذهب الملوك والأمراء والوزراء والفضلاء لسماعه والإفادة منه. وليس من الضروري أن يكون لكل مدرسة صدرها، لأنه إن أمكن أن تستغني المدرسة

---

[103] السيوطي، *حسن المحاضرة*، جـ .2 ، ص. 140.

عن مدرسها، تكفي بالمعيدين بها، فالأولى بها أن تكتفي بالمدرس، وتنتظر الحظ الذي يتيح لها فرصة الصدر يجلس بها، ويجلب اليها الكثيرين من أهل الطلب والعلم.

وعند التطرق للمواد الثقافية والتعليمية التي كانت تعطى وتدرس في هذه المؤسسات التعليمية لا بد لنا أن نتطرق للفقه والحديث واللذان كانا يحتلان المكان الأول في هذه الثقافة، واذا كانت السيطرة العظمى في الميدان العلمي للفقه والحديث في العصر الأيوبي بشكل عام، فمعنى ذلك أن العناية كانت على أتمها كذلك بسائر العلوم المتعلقة بالدين، ومنها التفسير، والفرائض و القراءات والأصوال وما الها من المواد التي تتألف منها ثقافة اسلامية خالصة. وليس عالم من علماء مصر والشرق في ذلك الوقت إلا وهو عارف كل المعرفة بهذه الثقافة الدينية، أما النحو والبلاغة فهما من أخطر المواد التي تألفت منها هذه الثقافة. وسبب ذلك أن هذه المواد التي ذكرناها كانت ضرورية لدراسة الفقه.

بل أن الفقيه كان لا يمكنه أن يسير شوطاً بعيداً في علمه، دون أن يكون له علم كبير بهده المواد.

وبسبب هذا لا نكاد نقرأ ترجمة لفقيه ما، إلا ويقال لنا في هذه الترجمة إنه درس النحو على فلان من العلماء، أو انه كان ممن يحفظون كتاب سيبويه أو غيره من أكابر النحويين، بل إنه بسبب هذا كله كان صلاح الدين ومن بعده من سلاطين بني أيوب يعنون عناية كبيرة بهذه العلوم.

وكان أحدهم وهو المعظم عيسى ممن اشتغلوا اشتغالاً صحيحاً بمادة النحو بنوع أخص وكثيراً ما سمعناه عن غيره من ملوك الدولة الأيوبية خاصة، أنهم أمروا فألفت لهم أراجيز نحوية، وعليها شروح قيمة وافية[104].

ثم كان من عناصر الثقافة التي امتاز بها علماء ذلك الوقت عنصر هام، هو الأدب وللأدب قيمة كبرى في تلك العصور، لأنه يعين على فهم الدين، ويساعد على

---

[104] د. عبد اللطيف حمزة، *الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول*، دار الفكر العربي، ص. 171-172.

تكوين ذوق لغوي مستقيم، ولا نكاد نعرف عالماً من علماء مصر أو الشرق في ذلك العصر أيضاً إلا وله إلمام بالادب، وذوق كبير فيه.

قال الأدوفي في ترجمته لابن دقيق العيد: وحكى أنه كان يحفظ في الأدب زهر الآداب

بل إن كثرة ساحقة من علماء العصر كانوا شعراء أفاضل، لهم نظم جيد، وشعر قل أن يصدر عن أمثالهم من العلماء، إذ من المعروف عن هؤلاء أنهم لا يحسنون الشعر، وأنه يصعب عليهم نظمه، لطول اشتغالهم بالمسائل العقلية أو العلمية.

ومن ثم كان للعالم ذوق يخألف ذوق الأديب. ومع ذلك فأشعار العلماء في العصر الأيوبي يستحق الالتفات اليه[105] .

والخلاصة بأن الأدب كان يحتل مكاناً ممتازاً في هذه الثقافة السائدة، وأن العلوم التي كانت تدرس في هذه المدارس لم تكن غير علوم السنة، وهي الحديث والتفسير والفقه، والقراءات ثم النحو والبلاغة والتاريخ وغيرهم من العلوم.

أما الجبر والمقابلة والكيمياء وغيرها من العلوم النقلية البحتة فكانت مما يشتغل به بعض الرجال في منازلهم الخاصة، لا في المدارس أو المساجد، وخاصة الكيمياء كان يشتغل بها بعض باب المسلمين في العصر الأيوبي رغبة منهم بخدمة الحرب والمستهمو فيها بنصيب كان له الأثر الأكبر في بعض الانتارات التي كسبها المسلمون على أعدائهم من الصليبيين.

على سبيل المثال أن شاباً دمشقياً استطاع تركيب مركب كيميائي لاحراق الأبراج التي صنعها الصليبييون بحث لا تؤثر فيها النيران، وأنه نجح في اختراعه هذا نجاحاً كان له أثره في الهزيمة المنكرة التي مني بها الصليبييون. فقيل بأن السلطان قدم له جوائز كثيرة، وأطعمة الأمراء بالخلع الثمينة، فلم يأخذ شيئاً. وقال قد عملت شيئاً لله تعالى[106].

---

[105] جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدوفي، *الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد*، ص. 210.
[106] العسقلاني، *شفاء القلوب* ، ص. 41.

وكان العلماء يحظون باحترام اعيان الدولة والشعب بشكل عام وكان لهذا الاحترام والتبجيل دواع شتى منها:

أولاً: اشتراك الفقهاء ورجال الدين بأنفسهم في الحروب الصليبية وغيرها، إذ يذهبون فيها الى الميدان، ويقومون فيه أما بتذكير الجند بما كان عليه ابطال الاسلام القدماء، واما بحمل السلاح يقاتلون مع الناس. وهكذا فعل احد الفقهاء وهو هنا ابن شاس في حصار دمياط. فقد اشترك هذا الفقيه في الحرب يومئذ حتى استشهد. وكان أخ للفقيه عيسى الهكاري قد التحلق بجيش صلاح الدين ثم استشهد في الموقعة، فأقبل الناس على الفقيه يعزونه ويواسونه، فقال لهم: هذا اليوم الهناء لا يوم العزاء!

ثانياً: اعتماد الملوك والسلاطين على الفقهاء ورجال الدين في الترويج للحرب خارج الميدان وتحريض الناس على القتال قبل الموقعة، ولقد نشط الفقهاء يومئذ في هذه المهمة نشاطاً كبيراً جداً، وإليهم يرجع معظم الفضل في نشر مبادئ الفروسية الاسلامية.

وإليهم يرجع معظم الفضل أيضاً في دفع الانس يومئذ دفعاً قوياً الى المثل الاعلى. وكثيراً ما كانوا اسبق منهم الى احتذاء هذا المثل. وذلك فضلاً عما رأيناه من اعتماد الملوك عليهم في تقوية الروح المعنوية في الجند اذا اصابهم الوهن، وفي جمع الكلمة اذا ظهرت بوادر الفشل.

ثالثاً : ومن العوامل التي دعت الى احترام رجال الدين، ولعله من اخطرها وادعاها الى الاكبار والتبجيل، نظرهم الى انفسهم يومئذ على انهم يمثلون سلطة الامة بازاء سلطة الحكومة. فهم وحدهم زعماء هذه الامة المصرية: يذودون عن حقوقها، ويقفون من اجلها في وجوه الملوك والحكام، بل ان منهم من اعتبروا انفسهم مسؤولين عن تقويم اولئك الحكام، حتى لقد كان من اعظم القر التي يتقرب بها عالم من العلماء الى الله "كلمة حق في مجلس ظالم"!

ويكفى هنا أن نضر المثل بشيخ من شيوخ المسلمين، وهو الشيخ عز الدين بن عبد السلام وهو فقيه عظيم أدرك زمن الدولتين الأيوبية والمملوكية، وكان له مع

ملوكها نوادر كثيرة، وحكايات مشهورة، تكفي كل واحدة منها أن تكون دليلاً على شجاعة الشيخ الأدبية، وعلى أنه كان ذو زعامتين في مجتمعه دينية واجتماعية.[107]

ثانيا: استطاعت الدولة الزنكية أن تصبغ الإدارة بالصبغة الإسلامية وأن تدمج القيادات السياسية والفكرية بالمفاهيم والأحكام الشرعية.

بدأ نور الدين ومنذ اليوم الأول من قدومه بتوحيد الجبهة الاسلامية ضد الصليبيين، فقام في سنة ست وأربعين وخمسمائة بحصار دمشق، وكان أثناء الحصار يتجنب قتال المسلمين، ويقول لجيشه: "لا حاجة إلى قتل المسلمين بأيدي بعضهم بعضاً، وأنا أرفههم ليكون بذل نفوسهم في مجاهدة المشركين"[108].

و لما رأى حاكم دمشق مجير الدين آبق إصرار نور الدين على فتح دمشق طلب منه أن يجتمع إليه، وعرض عليه أن يدخل في طاعته على أن يبقيه حاكماً لدمشق، فقبل ذلك.

ولكن حاكم دمشق عاد مرة أخى يمد يد العون إلى الصليبيين، ويعطيهم الأموال، ويسمح لهم بدخول البلد، وقد كان تصرفه هذا دافعاً لنور الدين على إعادة المحاولة مرة أخرى عام تسعة وأربعين وخمسمائة، واستطاع هذه المرة أن يستولي على دمشق وحقق بهذا أهم خطوة من الناحية العسكرية خطاها المسلمون منذ بدأوا الجهاد حتى ذلك اليوم[109].

وقد كان هذا العمل فاجعة كبرى للصليبيين، لأن نور الجين كان يهاجمهم دائماً، وينتصر عليهم قبل أن يستولي على دمشق قاعدة بلاد الشام. وكان هدف نور الدين عندما أخذ دمشق أن يجعلها طريقاً له إلى بيت المقدس وبلاد الساحل التي بيد الصليبيين ليستعيدها منهم، وما كان يستطيع هذا ودمشق في يد حاكم ضعيف يتعاون مع أعدائه، ويمدهم بالمساعدات[110].

---

[107] د. عبد اللطيف حمزة، *الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول*، دار الفكر العربي، ص. 68-69.

[108] ابن القلانسي، *ذيل دمشق*، ص. 315.

[109] علي محمد الصلابي، *نور الدين محمود*، ص. 244.

[110] ابن الجوزي، *مرآة الزمان*، ص. 220.

وبعد أن استولى نور الدين على دمشق عمل على مهاجمة الصليبيين على حصن حارم سنة احدى وخمسين وخمسمائة، كما استولى على بانياس في السنة التي تليها[111].

واستطاع بعد ذلك أن يستولي على دلوك، و راوندان واعزاز وبزاعة وأرتاح و معرة النعمان وأقامية وأنب و كفر طاب والبارة وغيرها من بلاد المسلمين الواقعة تحت حكم الصليبيين عدا بيت المقدس وبعض المدن الساحلية، وبذلك اتصلت أملاكه من دجلة إلى نهر العاصي في الشام[112].

اتجه نور الدين إلى الديار المصرية، محاولاً ضمها إلى أملاكه ليحقق بذلك الوحدة الكبرى بين بلاد المسلمين، وجرت أولى محاولاته سنة تسع و خمسين و خمسمائة، عندما أرسل قائده شيركوه لمهاجمة مصر التي كان يتزعمها شاور الوزير المصري، وكان هذا يتعاون مع الصليبيين، شأنه شأن بعض ضعاف الايمان من أمراء الشام. ولم يستطع نور الدين أن يحقق هدفه في هذه السنة، لتدخل حاكم بيت المقدس الصليبي عندما استنجد به الوزير المصري.

وقد تم توحيد البلدين سنة أربع وستين وخمسمائة في المحاولة الثالثة التي أقدم عليها نور الدين ونجح فيها[113] .

وعندما تم لنور الدين ما أراد من توحيد البلاد الاسلامية، اتجه ببصره إلى الهدف الأسمى وهو تحرير بيت المقدس، ولا سيما أن مركز الصليبيين في الشام كان قد ضعف كثيراً لاستيلائه على أكثر البلاد التي في أيديهم، ولموت كثيرمن خيرة فرسانهم في المعارك الكثيرة التي خاضوها.

حاول نور الدين وبالاتفاق مع صلاح الدين الهجوم على بيت المقدس ولكن ظروفاً طارئة حالت دون ذلك، ثم جاء موته لينهي بذلك أهم خطوة كان يحلم بها نور الدين، وهي تحرير بيت المقدس[114].

---

[111] المقدسي، *الروضتين*، ج .1، ص. 108.
[112] علي محمد الصلابي، *نور الدين محمود*، ص. 280.
[113] المقدسي، *الروضتين*، جـ.1، ص. 108.
[114] محمد علي الهرفي، *شعر الجهاد في الحروب الصليبية*، ص. 35-36.

وكان نور الدين الزنكي كثير الاهتمام بالتعليم والعلم والعلماء،فكان رجال نور الدين ومعاونوه وقادة جيشه على مستوى راق من العلم والأخلاق، ومن أمثلة ذلك وزيره أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري، فقد كان فقيها أصوليا شغل مناصب مختلفة، منها السفارة والوزارة وناظر الأوقاف وناظر المالية والقضاء، واستمر على ذلك حتى قيادة صلاح الدين[115]، ومنهم عبد الله بن محمد بن أبي عصرون الذي شغل منصب قاضي دمشق وناظرا للأوقاف[116]، وكذلك كان صلاح الدين فقيها درس الفقه الشافعي، وسمع الحديث من أبي طاهر السلفي وغيره، روى الحديث عنه أناس مثل يونس بن محمد الفرقي والعماد الكاتب وغيرهم، ويقال :"إنه كان يحفظ القرآن والتنبيه في الفقه والحماسة في الشعر"[117].

4.2 جهود السلطان صلاح الدين العلمية و علاقته بعلماء و مفكري عصره

كانت الدولة الأيوبية التي حكمت الشام مصر و الشام و اقليم الجزيرة في دورها في تنشيط الحركة العلمية و إزدهارها، فكان لملوكها بالغ الثر في هذا المجال، اذ كرموا العلماء و احسنوا وفادتهم، و جزلوا لهم العطاء و كانوا ينفقون أموالاً طائلة في سبيل ذلك و يقربون إليهم العلماء و الأدباء و الأطباء و الفقهاء و يعظمون منزلتهم و ربما كانوا يقطعون الهبات إذا وجدوا فيهم الخبرة والصلاح و الإفادة في سبيل النهوض الثقافي في بلادهم.

ويعد السلطان صلاح الدين الأيوبي من أبرز السلاطين الأيوبيين في هذا المجال حتى وصل عصره إلى أوج إزدهاره بفضل سياسته الحكيمة و مساهمته في تقديم العلوم، فكان يجب أهل العلم لذا قصده العلماء و نالوا الرعاية التامة منه[118].

وكان يرى في إنشاء المؤسسات التعليمية اقبالاً عى العلم و المعرفة، لذا نجده ينشئ العديد من المدارس، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الهدف الثاني لإنشاء

---

[115] السبكي، *طبقات الشافعية*،جـ. 6، ص. 188.
[116] السبكي، *طبقات الشافعية* ، جـ.4، ص. 237.
[117] السبكي، *طبقات الشافعية*، جـ.7، ص. 34.
[118] اليافعي، *مرآة الجنان*، جـ.3، ص. 336.

المدراس عقب سقوط الدولة الفاطمية وضع حد للمدارس الفاطمية العلوية، ومن خلال إنشاء المدارس السنية المذهب،[119] فضلاً عن محاكته لما شاهدة و سمعه في الخلافة العباسية، فالتوسع في إنشاء المدارس في حد ذاته يعد مظهراً قوياً لارتقاء الحياة العلمية، إلى جانب قصد السلطان بتأسيسه المؤسسات التعليمية التقرب إلى الله و نيل الرضا منه،[120] فبحكم تدينه و ثقافته الواسع فقد كان حسن العقيدة و لذلك كثيراً ما يستقطب العلماء و يستمع إليهم[121].

كما كان العلماء يواصلون أبحاثهم العلمية ويؤلفون كتبهم التي اتفادت منها أجيال الباحثين في العصور التالية.

ومن علماء مصر الأيوبية قيصر بن عبد الغني الأصفوني، ولد بأصفون من أعمال قنا بصيد مصر سنة 654 هـ وتوفي بدمشق سنة 649 هـ وكان عالماً بالرياضيات والفلك والهندسة والموسيقى[122]، صنع كرة فلكية سموية انتقلت إلى خزينة كاردينال بورجيا في فلليتري حتى عام 1809 م ثم آلت إلى متحف نابولي الوطني في ايطاليا حيث تتواجد الأن، وقد نقش على الكرة اسم صانعها بالخط الكوفي وعام 622 هـ [123].

ومما يذكر أن الامبراطور الألماني فردريك الثاني وريث النورمان في صقلية كان صديقاً للسلطان الكامل الأيوبي، وفي بعض الأحيان كانت تعترض فردريك الثاني مشكلة عليمة، فكان يبعث إلى أصدقائه من ملوك المسلمين، ويطلب أن يعرضوها على من لديهم من علماء للإجابة عليها. وعلى سبيل المثال أرسل فردريك مسألة إلى الكامل حلها العالم الرياضي المصري قيصر الأصفوني[124].

---

[119] عبداللطيف حمزة، *الحركة الفكرية في مصر*، ص. 82.

[120] سعيد عبدالفتاح عاشور، *مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك*، ص. 120

[121] السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*، ج 2 ، ص. 29.

[122] السيوطي، *حسن المحاضرة*، جـ1، ص. 542.

[123] عبد الرحمن زكي، *من تراث مصر العلمي في العصر المملوكي*، ص. 34.

[124] الأدفوي، *الطالع السعيد*، ص. 469 - 470.

واشتهر دور صلاح الدين و الأيوبيين من بعده بالأطباء المهرة، ومنهم موسى بن ميمون المتوفي سنة 600هـ، تلميذ ابن رشد، وأكبر فيلسوف يهودي في العصور الوسطى، نزح من شمال أفريقيا الى مصر، وأضحى طبيب صلاح الدين الخاص، ونشر دراسة الطب في مدينة الإسكندرية، والتقى به في القاهرة عبد اللطيف البغدادي صاحب كتاب "الإفادة والاعتبار" الذي اشتغل بالطب والأدب، وقضى في القاهرة زمناً[125] وهناك الطبيب أحمد ابن قاسم بن خليفة الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة، ولد في حدود عام 595 هـ بالقاهرة، وكان شاباً موهوباً، درس الطب وأخذ عن كبار أطباء عصره، وكتب تاريخه المعروف بعيون الأنباء الذي انتهى بتراجمه إلى سنة 667 هـ أي قبل وفاته بعام واحد[126].

ومن المعروف أن للطب صلة قديمة ووثيقة بدراسة الأعشاب، وقد حظيت القاهرة بأكبر عشاب عربي وأعظم نباتي ظهر في العصور الوسطى، وهو ابن البيطار المتوفي سنة 646 هـ نزح من المغرب واتصل بالسلطان الكامل الأيوبي، وجعله رئيساً على سائر العشابين في مصر، ولما مات الكامل خدم ابنه السطلان الصالح نجم الدن أيوب، ولم يفت ابن أبي أصيبعة أن يتصل به ويدرس مؤلفاته في الأعشاب، فوجد فيها العلم غزيراً[127].

وقد تشبه الأيوبيون بالفاطميين في عنايتم بإنشاء المكتبات، وأهمها المكتبة التي عنى بها السلطان الكامل بالقلعة، وكانت في الأصل تؤلف مكتبة القاضي الفاضل ثم آلت إلى ابنه الأشرف أحمد، حتى أمر السلطان الكامل بوضع اليد عليها ونقلها إلى القلعة لتصبح نواة مكتبة كبرى، وقد تم نقلها إلى القلعة سنة 626هـ[128].

وبما ان المؤسسات التعليمية الاخرى كالبيمارستانات تحقق فائدتين معا فائدة المرضى من حيث التعامل و علاجهم و العناية بهم ومن توفير كافة المستلزمات الطبية لذا إهتم بهذه المؤسسة أيضاً و شرع في بنائها و انفق عليها كل ماتحتاجه من المال و

---

[125] مصطفى السقا، *الحياة الأدبية في مدينة القاهرة*، ص. 62.

[126] أحمد بدوي، *الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية*، ص. 321 - 322.

[127] السيوطي، *حسن المحاضرة*، جـ. 1، ص. 542. انظر أيضاً: أحمد بدوي، *الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية*، ص. 320 - 321.

[128] سعيد عاشور، *الأيوبيون والمماليك*، ص. 153.

الاملاك،[129] و كان الطلاب يتلقون ذالك العلوم علي يد اطبائهم في البيمارستانات،[130] فالاطباء و كبار الجراحين كانوا يعالجون المرضى فضالا عن القاء الدروس و امتحان اللطلاب و إجازتهم،[131] لذا نجد ان البيمارستانات كانت بمثابة مستشفيات خدمية و تعليمية و مناهج لتعليم مهنة الطب و ساهمت مع المؤسسات الاخرى في الأنتعاش الحضاري ورفع المستوى العلمي فيها وما جعل السلطات يهتم بها.

فضلاً عن ادراكه لما قد تقوم به المؤسسات الاخرى في النهوض الفكري كالربط والخانقاهت و الزوابا لكونها مؤسسات دينية و ثقافية و اجتماعية في ان وأحد ولاشك في ان كل ذلك اي إلى جذب انظار العلماء و ازدياد نشاطهم الفكرى، فضلاً عن الدولة الأيوبية و لا سيما في عهد كانت مفتوحة بشكل دائم لأنتقال العلماء والكتاب والادباء و غيرهم، بل كانت الافكار متصلة، لذا نجد انه يقربهم إلى درجة ان قلدهم مناصب عالية في الدولة [132].

ومع الدافع العلمي كان تشجيع السلطات لأهل العلم يزيدهم محبة في نفوس الناس، نظرا لمنزلة العلماء العالية في قلوبهم، مما ئؤدي بطبيعة الحال إلى رسوخ مركزهم في الحكم و رفع منزلتهم عند الجميع، كما ادركوا ان خير ما يضمن لهم بقاء دولتهم و رقيها هو اكرام العلماء، فمن مظاهر إهتمامة بالادباء انه لم يبخل عليهم بالمال لذا كانت اسهاماته في رفع المستوى الثقافي نتيجة لما يتمتع به من شخثية عالمية و ثقلفة متفتحة و لهذا قصده الادباء و الشعراء و مدحوه بقصائدهم[133].

ومن عوامل إهتمامه بالنهوض الثقافي في بلاده ادراكه لمدى أهمية الاطباء و الدور الذي يقومون به و الذي يتمثل في الوقاية و العلاج من الأمراض و تعليم الاخرين لهذه المهنة و لذلك نجد السلطان صلاح الدين بكرمهم و يحسن إليهم و يهيء

---

[129] عبدالجليل حسن عبدالمهدي، *المدارس في بيت المقدس*، ص. 343.

[130] أحمد عيسى، *تاريخ البيمارستانات في الإسلام*، ص. 38.

[131] توماس أرنولد، *تراث الإسلام*، ص. 38.

[132] إبن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء إبناء الزمان*، جـ. 4، ص. 235 وإبن تغري بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، ج . 6، ص. 110.

[133] الحنبلي، *شذرات الذهب*، ج. 4، ص. 337.

لهم الاجواء، بل نجد في بعض الاحيان و حسب قول المؤرخ الطبيب إبن اى صبيعة يطالبهم دائما بالاستمرار في خدمة بلاده و نشر مهنة الطبابة فيها مقابل تسهيلات يقدماه لهم و رأوتب و جرايات يخصصها إليهم [134]

الجدير بالذكر ان السلطان لم يكن يفرق بين النصارى و المسلمين في هذا الجانب لأنه كان محبا لأهل العلم بشكل عام لم يكن في ذهنه التقرب من السلمين أكثر من غيره و لا سيما بانه قد ادرك ضرورة الأخذ بنظر الاعتبار مساهمة علماء النصاربواليهود في الحياة العلمية و تقدمها في ربوع بلاده، واسهامهم بشكل أو بآخر في النهوض الثقافي و قيامهم بدور فعال في تطوير الحياة المدنية و العلمية، الأمر الذي دفع بالعديد من الاطباء البارزين لخدمة بلاده و بلاطه [135].

1.4.2 جهوده في طلب العلم و المؤسسات التعليمية

إهتم السلطان من صباه بأمر التعليم و تابه خطواته لدى العلماء و دور العلم، فضلاً عن إهتماماته الادبية كالشعر و التقاته بالشعراء، و اجتماعه بالفقهاء و الاطباء و ملازمتهم لأخذ قسط مما ليدهم، حتى ارتبط ببعضهم بصلاة و ثيقة [136] ويؤكد لنا المؤرخ إبن شداد بانه كان شديد الرغبة لسماع علوم الدين و يؤكد بانه عند سماعه لشيخ عالم ذائع الصيت فانه كان يحضر إليه و ياتي بأولاده و حتى بمماليكه المختصين به[137] و بهذا يتبين لنا انه كان حريصاً على تلقى العلوم مباشرة من اصحابها والاستماع إليهم.

وفي سبيل استكمال العلوم في مناطق آخرة ساؤا على هذا المنوال أيضاً إلى ان أصبحت له شهرة في هذا المجال و كون لنفسه منزلة رفيعة و حرص على تفهم روح

---

[134] أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، تحقيق: د. نزار رضا، النشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، ص. 576-580.

[135] إبن أبي اصيبعة، *عيون الأنباء* ، ص. 661.

[136] المقريزي، *السلوك لمعرفة الملوك*،جـ. 1، ص. 149.

[137] ابن شداد، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية*، ص. 9.

العلوم الشرعية و تعاليمها إلى تمثل جانبا مهما في الحياة العلمية في عصره، فمنذ صباه كان يلازم أباه نجم الدين فبعد انتقال ابيه إلى الموصل و من ثم الشام و من ثم أصبح واليا على بعلبك من قبل الزنكيين بدات إهتمامات صلاح الدين بالمعلافة، و أخذ يشارك في مجالسهم و حواراتهم وأخذ من بعضهم امثال قطب الدين الوالعإلى مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري[138]، والأديب الشاعر حسان بن نمير الكلبي أبو الندى المعروف بعلاقلة الدمشقي المتوفي سنة 567هـ /1171 م [139] الذي افاد السلطان بشعره و أدبه حتى كان يلازمه كثير من الأوقات [140] عندما أرسل نور الدين الزنكي أسد الدين شيركوه الى مصر للسيطرة على الاوضاع الداخلية التي حدثت نتيجة صراعات على الوزارة بين الفاطميين ومن ثم تصدى للمحاولات الصليبية على مصر، وكان بصحبة شيركوه إبن أخيه صلاح الدين الذي ما لبث أن إغتنم الفرصة و إجتمع بالعلماء و الأدباء بمصر، ولازمهم إلى جانب دوره القيادي في جيش أسد الدين شيركوه، و بعد مدة و جيزة توفي عمه و أصبحت له وزارة الفاطميين مما هيا له ظروفا أكثر ملائمة للإفادة من العلماء و الأخذ عنهم [141].

نقرأ فيما سبق أن العظيم صلاح الدين الأيوبي بذل جهدا عظيما في نشر العلوم الشرعية وغيرها، وخدم طلاب العلم وأهل العلم بفوق ما استطاع، وهذا الجهد المشكور والسعي المكروم يفضل مكانة هذا الشخص من عندالله تعالى ومن بين أصناف البشرجميعا، قال تعالى:"قد منّ اللّه علينا إنّه من يتّق ويصبر فإنّ اللّه لا يضيع أجر المحسنين"[142].

---

[138] المقريزي، *السلوك*،جـ. 1،ص149.

[139] إبن الجوزي، *مرآة الزمان* ،جـ. 8،ص286.

[140] إبن واصل، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، جـ. 1، ص. 149.

[141] اليافعي، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان*،جـ. 3، ص. 336.

[142] *سورة يوسف*، 13/89-90.

و شمل التجديد في عهد الملك صلاح الدين الأيوبي فتح المدارس المختلفة لتدريس القرآن الكريم و نشر العلوم الشرعية، وعلوم الفقه والسنة النبوية والدراسات الشرعية واللغة.

وقد سار نشر العلوم الشرعية جنباً الى جنب مع إقامة علم الجهاد، وبناء دولة العقيدة فكان خريجو هذه المدارس، هم وقود المعارك الإيمانية، ومنهم كانت أصناف القيادات المختلفة التي تعاونت مع الملوك والسلاطين حينها.

و أسس صلاح الدين أيضاً من بعده المدارس الشرعية، على غرار المدارس النظامية التي اسسها الوزير السلجوقي نظام الملك قبله، معتمدة محاربة التشيع الذي كان قد ساد أيام الفاطميين باتباعها لتعاليم مذهب أهل السنة والجماعة في التعليم، فكان يعين لكل منها أحد كبار الشيوخ ويحدد لكل مدرسة المذهب الفقهي الذي تسير عليه الدراسة، ليدرس هذا المذهب او ذلك، حسب الطرق المتبعة آنذاك في التدريس .

وبما أن المرحلة في طلب العلم الذي يسعو إليها طالبوها قد تزيدهم علوما و معرفة، فادراك الطلاب من رحلاتهم هو انهم كانو يرون ان العلم الذي يكتسبونه من ورائه الشيوخ اجدر بالاعتماد من العلم الذي يؤخذ من الدفاتر و الكتب، و هذا يوضح مدى إهتمام السلطان بالعلم

والسعي وراء تحصيله، فقد قام برحلة إلى الإسكندرية و تردد إلى الرز علمائها البارزين و ذلك في سنة 572هـ، [143] ومما شجعه على هذا سماعه بقدون الحافظ أبو طاهر عمادالدين احمد بن محمد السلفي المتوفيسنة 576 هـ، إلى الإسكندرية و الذي ذكره المؤرخ الذهبي بقوله أوحد زمانه في علم الحديث و اعرفهم بقوانين و الحديث [144] بحيث كان صلاح الدين يتردد إليه في كل اسبوع ثلاثة ايام و هي الخميس و الجمعة و السبت، بل كان يستصحب معه اثنين من أولده إلى اللإسكندرية في تلك الرحلة العلمية و بذلك أصبح الاب مع إبنيه طلابا [145].

---

[143] الذهبي، *العبر في خبر من غبر*، جـ. 3، ص. 61.

[144] الذهبي، *تذكرة الحفاظ*،جـ. 4، ص. 1301.

[145] إبن واصل، *مفرج الكروب*، جـ. 2، ص56.

و بعد قيام عدة حملات سلاجقة الروم إلى القاهرة ثم توجه مرة اخر في سبيل تحصيل العلم إلى الإسكندرية و سمع على يد أحد علماء هو ابى طاهير بن عوف بن إسماعيل بن مكي الزهرى الاسكندراني المتوفي سنة 581هـ، [146] الذي شرح و ناقش كتاب الموطأ للامام مالك بن انس في الفقه للسلطان صلاح الدبن،[147] و بعد رجوعه من القاهرة كان يراسل استاذه و يستفتيه لامور شتى و كان حريصاً على ترضيته، فعندما طلب أبو طاهر منه إعانة الفقهاء بالإسكندرية لطلبه و صرف لهم مقدارا معينا من المل كل شهر،[148] و يذكر لنا المؤرخ إبن شداد في نوادره بأن السلطان كان يأخذ قسطا من الحديث و الفقه منه و ذلك من خلال كتاب لأحد الفقهاء و يشرحها له و يفسرها [149] وعندما قام بفتح بيت المقدس و انتهى من اعمارها، تقرب مرة أخرى من العلماء و المشايخ و سمع من أمثال أبي المواهب إبن ثثري و ابى محمد القاسم بن علي و عبد إبن الشيخ آبي النجيب السهروردي،[150] و لاشك أن ما قام به السلطان للاستزادة من الناحية العلمية وانعكس و يشكل ايجابي على المسار الثقافي في بلاده و تشجعيه لهم.

1.1.4.2 المدارس

يعد تشييد المدارس من أكثر أهمية المشروعات العمرانية التي اهتم بها صلاح الدين منذ مطلع حكمه، وهذا لتحقيق هدفين:

الأول : تكوين طبقة مثقفة واعية تكون سنداً له في باله و حكمه و قيادته.

الثاني : القضاء على الفكر الفاطمي الباطني.

غير أن سياسته الانشائية نبعت من ايمانه وتدينه وشعوره بالمسؤولية في امام الله والناس، واعتقاده بأن المساجد والمدارس هي قاعدة الدين، وهو الذي ادخلها الى

---

[146] المقريزي، *خطط المقريزي*، جـ. 3، ص. 86.

[147] إبن الصابوني، *تكملة إكمال الإكمال*، 42، و الحنبلي، *شذرات الذهب في إخبار من ذهب*، جـ. 4 ، ص. 268.

[148] إبن فرحون، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، ص. 95.

[149] ابن شداد، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية*، ص. 28.

[150] النعيمي، *الدارس في تاريخ المدارس*، جـ. 2، ص. 139.

مصر، والمعلوم أن الفاطميين لم يشجعوا تشييد المدارس في ذلك البلد لأن التدريس يكون فيها علنياً، ومذهبهم الديني يمتاز بالسرية، وانما قد كانت إستلم دروس من بعض علماء الشيعة في الجامع الأزهر، وفي جامع عمرو بن العاص.

اعتنى الايوبيون بالناحية العلمية ومؤسساتها المهمة وابدوا نشاطا في بناء المدارس واتخذوا لها مباني خاصة بها لتؤدي دورها في نشر العلوم والمعارف، كانت المدارس تدرس فضلاً عن العلوم الدينية كالفقه والحديث والتفسير و غيرها كانت تدرس العلوم اللسانية كاللغة و النحو والادب و كذلك العلوم كالمنطق والحساب و الطب والهندسة[151].

يمكن القول أن المدارس إلى انشأها السلطان صلاح الدين قد تخطت موضوع الدراسات الدينية وأصبحث مؤسسات لتدريس العلوم الدينية و الدنيوية على وفق ضوابط وأسس حددت لها، ولكن الغالب عليها العلوم الدينية والفقهية وعلى مذهب معين من المذاهب الأربعة مع ضرورة دراسة العلوم اللسانية والعلوم الاخرى السابقة الذكر.

و الجدير بالذكر هنا، أن المدارس النظامية التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك[152] لها انعكاساتها الايجابية في تنيشط الحركة الفكرية و تشجيع بناء المدارس وانتشارها، وقد توهم المؤرخ إبن خلكان ان الوزير نظام الملك أول من بنى هذه المدارس[153]، اذ بنيت مدار قبل النظامية في بلاد المشرق الإسلامي[154] غير أن إفتتاح المدرسة النظامية يعد البداية الحقيقية في الحياة العلمية في ذلك العصر حيث اتبع فيها تنظيم منهجي و تدريسي كان له أثره الواضع في ظهور نظام تعليمي متقدم[155]، و قد سار السلطان صلاح الدين إلى اقتداء بمنهجية منظمة في إقامة المدارس و رعاية العلم

---

[151] سعيد عبدالفتاح عاشور، *مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك*، ص. 121.

[152] الحسن بن علي الطوسي، *نظام الملك وزير السلاجقة في عهد ألب أرسلان وملكشاه*، المتوفي 485 هـــ، إبن خلكان، *وفيات الأعيان*،ج 2 ، ص. 128.

[153] إبن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ 2 ، ص. 129.

[154] السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*،ج .4 ، ص. 314.

[155] مريزن سعيد مريزن عسيري، *الحياة العلمية في العراق*، ص. 280.

و بروزه بوصفه مؤسسة نشيطة تقوم على أسس منظمة بل و يرجع إليه الفضل في إنشاء أول مدرسة في مصر [156]

وعندما دخل صلاح الدين الى مصر لم يكن بها شيء من المدارس النظامية التي تشرف عليها، وفي ذلك الحين استقطب بسخائه العلماء والطلاب من العراق وشمالي افريقية، وأوقف عليها الاوقاف للانفاق على مدرسيها وطلابها وخدمها واصلاحها ويتولى شؤون البصر في تلك الاوقاف، ناظر يعينه منشيء المدرسة، وربما يكون مدرساً أو عاملاً فيها. ويقضي النسق الداخلي المطبق في أكثرية المدارس، أن يتفرغ الطالب للعلم والتحصيل مؤتمر تأمين الأكل والسكن له، إضافةً إلى منحه المال.

وابتدع صلاح الدين لنظام تعليم جديد في مجال انشاء المدارس واعتبر معظم المؤرخين عمله هذا فتحاً جديداً في طريقة الانتفاع بها لمصلحة المذهب السني أولاً، وصحيح أم مصر في اواخر العهد الفاطمي وقبل مجيء صلاح الدين كانت قد تأثرت نوعاً ما بحركة الرجوع الى المذهب السني، فأسس وزير من وزارء مصر في عهد الخليفة الحافظ مدرسة شافعية بالاسكندرية عام 532هـ وبعده بأرع عشرة سنة اي عام 546هـ اسست في نفس المدينة مدرسة أخرى على يد وزير من وزراء مصر في عهد الظافر من خلفاء الدولة الفاطمية، غير أن هذا وذاك لك يكن في نظر التاريخ نفسه يشكك في أن المؤسس الحقيقي للمدارس في مصر انما هو صلاح الدين الايوبي[157]. وأول مدرسة بناها صلاح الدين في مصر هي المدرسة الناصرية بالفسطاط من الناحية الجنوبية لجامع عمرو بن العاص موضع دار الشحنة، وهذا في شهر محرم عام 566 هـ /1170م وخصصها للشافعية[158] كما بنى المدرسة القمحية، وحول دار المأمون البطائحي، الوزير الفاطمي، القريبة من ماركت الصنادقيين في العاصمة المصرية القاهرة مدرسة للأحناف، وسميت بالمدرسة السيوفية لقربها من ماركت السيوفيين،

---

[156] إبن تغرير بردي، *النجوم الزاهرة*،ج .6 ، ص. 54.

[157] د. عبد اللطيف حمزة، *الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول*، دار الفكر العربي، ص. 82 - 83.

[158] المقريزي، *خطط*، ج .4، ص. 200.

وبنى في سنة 572 هـ / 1176 م مدرسة اخرى للشافعية بالقرب من مقبرة الامام الشافعي سميت بالمدرسة الصلاحية[159] وكما بنى مدرسة في الاسكندرية في 577 هـ / 1182 م وبنى المدرسة الصلاحية في دمشق بجوار المارستان النوري، وخصصها للمالكية[160]، والمهم ذكره أنه كان في دمشق مدارس كثيرة قدرها ابن جبير، حينما زارها آنذاك، بعشرين مدرسة [161]وأمر صلاح الدين، بعدما فتح منزل المقدس، بأن يستبدل مقر الكنيسة المعروفة بـ"صندحة"، بمدرسة للفقهاء الشافعية، ووقف عليها أوقافاً حسنة[162].

بالاضافة الى المدارس، بنى صلاح الدين كثيراً من الكتاتيب، لأولاد المحتاجين والايتام، وعين عليها المحفظين يعلمون كتاب الله، وأجرى عليها الجرايات الكافية[163].

يعد صلاح الدين قدوة حسنة لأمرائه وقادته وابناء رعيت، فساروا على منهجه من بعده في تشييد المدارس.

فقد بنى تقي الدين عمر مدرستين في الفيوم احداهما للشافعية والاخرى للمالكية، كما بنى مدرسة في الرها، وانشأ المدرسة التقوية في دمشق والمظفرية في حماة[164].

وساهم القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني في بناء المدارس، فأنشأ في سنة 580هـ / 1184م المدرسة الفاضلية بجوار داره في القاهرة لتدريس مذهبي الشافعية والمالكية، وخصها بمكتبة ضخمة[165].

وساهمت أختا صلاح الدين في تشييد المدراس أيضاً فبنت اخته ست الشام مدرستين للشافعية في دمشق وهي البرانية والجوانية[166]، كما شيدت أخت ربيعة خاتون

---

[159]المقريزي، *خطط*، ج .4، ص. 204.
[160] ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، ج .6، ص. 56.
[161] ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، ص. 255.
[162]القاضي مجير الدين الحنبلي أبو اليمن، *الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل*: ج .1، ص. 340.
[163]ابن جبير، رحلة ابن جبير: ص. 27.
[164] المقريزي، *خطط*، ج . 4، ص. 202- 203.
[165] المقريزي، *خطط*، ج .4، ص، 204 - 205.
[166] ابن كثير، ج .13 ، ص. 84.

مدرسة الصاحبة بدمشق وخصصتها للحنابلة، وبنى التاجر ابن الارسوفي مدرسة بالبزازين في القاهرة عام 570هـ / 1174م [167].

وهكذا نجد أن المرحلة التي حكم فيها صلاح الدين حفلت ببناء المدارس، ويعود الفضل في ذلك الى شخصه، والى منهجه في الحكم والقيادة.

بادر صلاح الدين ببناء المدارس الكثيرة بالقاهرة في البداية، وذلك عندما كان وزيراً للعاضد الفاطمي، حتى قال المواكبون لذلك العهد بأن صلاح الدين يبني هذه المدارس على هذا النحو لهدم المذهب الشيعي الذي أتى بهالعبيديون من بلاد المغرب، وكان صلاح الدين هو وحده صاحب الفضل الأكبر في الوصول إلى هذه الغاية. وأول ما بدأ به صلاح الدين على هذه النحو بنائه مدرستين على عهد العاضد الفاطمي وهما: الأولى مدرسة للشافعية بجوار الجامع العتيق، وعرفت بأسماء كثيرة منها: المدرسة الناصرية والمدرسة الشريفية ومدرسة ابن زين التجارة، نسبة الى العالك الشافعي الذي طالت اقامته، حتى عرفت باسمه، هكذا.

الثانية مدرسة للمالكية عرفت باسم دار الغزل ثم عرفت باسم المدرسة القمحية، نسبة الى القمح الذي كانت تحصل عليه هذه المدرسة من ضيعة وقفها صلاح الدين بالفيوم. ثم مات العاضد الفاطمي، ومضى صلاح الدين في ابتناء المدارس فبنى منها مدرسة ثالثة للفقهاء الحنفية أطلق عليها اسم المدرسة السيوفية بنتيت اذ ذاك بالقاهرة بدار الوزير الفاطمي المعروف باسم عباس العبيدي.

وإلى جانب المدارس الثلاث السابقة الشافعية والمالكية والحنفية بنى صلاح الدين مدرستين اخريين لفقهاء المذهب الشافعي خاصة، وهو المذهب الذي كان عليه أكثر افراد البيت الأيوبي نفسه كما ذكرنا. احداهما وهي المدرسة الرابعة بجوار الامام الشافعي والاخرى هي المدرسة الخامسة بجوار المشهد الحسيني[168]. وقد ذكر السيوطي المدرسة التي بجوار الامام الشافعي فقال: ”وينبغي أن يقال لها تاج المدارس وهي أعظم مدارس الدنيا على الاطلاق، لشرفها بجوار الامام الشافعي. بناها

---

[167] المقريزي، *خطط*، ج .4، ص. 201.

[168] إبن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، ج .6 ، ص. 55.

صلاح الدين سنة اثنين وسبعين وخمسمائة. فلما كانت سنة احدى وثمانية وستمائة ولى تدريسها قاضي القضاة تقي الدين بن محمد رزين الحموي".

غير أن الباحثين عثروا على كتابة من أقدم الكتابات الاثرية يرجع عهدها الى العصر الأيوبي موضوعها وصف هذه المدرسة التي بناها صلاح الدين بجوار قبر الامام الشافعي، وهذا نصها:

"بنيت هذه المدرسة باستدعاء الشيخ الفقيه الامام... الزاهد نجم الدين، ركن الاسلام قدوة الانام مفتي القرن ابو البركات بن الموفق الخبوشاني ادام الله توفيقه لفقهاء اصحاب الشافعي رضوان الله عليه، والموصوفين بالاصولية الموحدة الاشعرية على الحشوية وغيرهم من المبتدعة وذلك في شهر رمضان سنة خمس وسبعين وخمسمائة"

وهنا نلاحظ امرين اولهما تاريخ انشاء المدارس وهو تاريخ مخألف لما ذكره السيوطي وثانيهما ورود اسم الامام الذي كان اول من ولى التدريس بها وهو الخبوشاني وقدد كان هذا الرجل من اخطر فقهاء لاسنة الذين وقعوا هذه الوثيقة التي خلعوا فيها آخر خلفاء الدولة الفاطمية، كما كان اول من خطب في جامع عمرو للخلافة العباسبة، وذلك في الوقت الذي رفض فيه الفقهاء ذلك، واقلقوا بال صلاح الدين من اجله. "ولا ننسى في هذه المناسبة اصل الخبوشاني الفارسي، وأنه نشئ في مدارس فارسية وأن الاشعري الذي اشير الى مبادئه في هذا القل زعيم ديني كبير ظهر في القرن الرابع، وأن المؤسسة الاسلامية التي تسمى المدرسة كانت اداة من اداوات الحركة الاشعرية"[169].

فتلك اذاً خمس مدارس بناها صلاح الدين بمصر وذلك كله عدا المدرسة التي بناها هذا المصلح الكبير في دمشق وعدا المدرسة التي بناها كذلك في القدس ولقد أحصى ابن خلكان عدة مدارس بناها السلطان صلاح الدين وقال: "ولقد فكرت في نفسي في امور هذا الرجل، وقلت انه سعيد في الدنيا والأخرة فانه فعل في الدنيا هذه الافعال المشهورة من الفتوحات الكثيرة وغيرها، ورتب هذه الاوقاف

---

[169] د. عبد اللطيف حمزة، *الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول*، دار الفكر العربي، ص. 161.

العظيمة، وليس شيء منها منسوب اليه في الظاهر، فان المدرسة التي بالقرافة ما يسمونها الا بالشافعي والمجاورة للمشهد لا يقولون الا المشهد، والخانقاه لا يقولون الا سعيد السعداء، والمدرسة الحنفية لا يقولون الا السيوفية والتي بمصر ويقصد التي في الفسطاط لا يقولون الا مدرسة زين التجار والتي بمصر أيضاً مدرسة المالكية وهذه صدقة السر على الحقيقة ..الخ.[170]

ولشرح أوسع للمدارس التي أسسها صلاح في عهده في مصر وبلاد الشام يمكن أن نرتبها على الشكل التالي:

1.1.1.4.2 المدرسة الناصرية

بناها السلطان صلاح الدين بالقاهرة سنة 566هـ ذلك عندما كان وزيرا للخليفة الفاطمي العاضد في مصر وهذا يعني بانه منذ وزارته قام بتاسيس المدارس، ويبدوا ان أحد تلك الأسباب وراء تاسيسه لهذه المرسة، محأولة منه للوقوف بوجه المذهب الشيعي انذاك وقد عدها المؤرخ المقريزى أول مدرسة تنشأ بديار مصر،[171] وكان المكان الذي انشأت فيه المدرسة عبارة سجن تابع للخلافة الفاطمية فهدمها الخليفة الفاطمي و بناها من جديد و هيأها لتكون مدرسة و ذكر المقريزي بأنها كان يحبس فيها من يريد حبسه فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية وأزال ما كان فيها من الظلم[172] و خصص لها الأموال والأوقاف واحاطها برعاية تامة .[173]

وأبرز الذين تولوا التدريس فيها إبن زين التجار سنة 593هـ واستمر في التدريس لمدة من الزمن[174] و عرفت هذه المدرسة باسن المردسة الشريفية وأيضاً وقد ظهرت هذه التسمية متاخرة عن العصر الأيوبي .[175]

---

[170] إبن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، جـ. 6 ، ص. 55.

[171] المقريزي، *خطط المقريزي*، جـ. 3، ص. 315.

[172] إبن الأثير، *الكامل في التاريخ*، جـ. 9، ص. 110.

[173] إبن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، جـ. 6،ص55.

[174] المقريزي، *خطط المقريزي*، جـ. 3،ص315.

[175] إبن دقماق، *الانتصار لواسطة عقد الأمصار*، ص. 93.

2.1.1.4.2 المدرسة القمحية أو مدرسة دار العزل

تشير المعلومات التي وصلتنا صلاح الدين أنشأها سنة 566هـ قبيل سقوط الخلافة الفاطمية و جعلها مدرسة عن المذهب المالكي و قد عرفت بالمدرسة القمحية نسبة إلى قمح الذي كانت تحصل من الوقف الذي أمر به السلطان،[176] ويذكر لنا أحد النصوص بان السلطان قد وقف عليها ضيعة من البلاد الفيوم تعرف تعرف بالجنوشية و جلعها أربع زوايا وهي مدرسة مباركة خرج منها جماعة من الأفاضل[177] وكانت هيئة التدريس تضم أربعة مدرسين و لكل وأحد منهم عدد من الطلبة،[178] و على هذا يمكن القول بأنها كانت متكون من أربع قاعات دراسية اختصت كل قاعة بمدرس و عدد من الطلبة و كان المدرسون يدرسون في آن واحد.

3.1.1.4.2 المدرسة الاصلاحية

وهي من المدارس التي كانت تقع في القاهرة شيدها السلطان بعد سقوط الخلافة الفاطمية سنة 572هـ بجوار قبر الإمام الشافعي بالقرافة[179]، وقد توهام البعض أنها قد سميت بالمدرسة الناصرية،[180] اذ لا وجود لذكرها بهذه التسمية في المصادر، فضلاً عن ان هذه التسمية قد أطلقت على المدرسة الذي أنشأها السلطان سنة 566هـ عنما كان وزيرا للفاطميين كما اسلفنا.

كان المذهب الشافعي يدرس في هذه المدرسة، و قد أحضر لها السلطان أبرز العلماء منهم نجم الدين محمد بن الموفق الخبوشاني المتوفي سنة 586هـ صاحب كتاب تحقيق المحيط والذي يقع في ستة عشر جزءا[181]، وكان هذا المدرش هو المشرف

---

[176] أحمد شلبي، *تاريخ التربية الإسلامية*، ص. 102.

[177] إبن دقماق، *الانتصار لواسطة عقد الأمصار*، 95

[178] المقريزي، *خطط المقريزي*، ج .3، ص. 316.

[179] المقريزي، *السلوك*، ج .1، ص. 173 إبن تغرير بردي، *النجوم الزاهرة*، ج .6، ص. 79.

[180] عبدالعظيم رمضان، *تاريخ المدارس*، ص. 153.

[181] الحنبلي، *شذرات الذهب*، ج .4 ص. 288.

أيضاً على عمارتها ة بنائها ة توفير المواد اللازمة لها بأمر السلطان الذي امده بكل ما يحتاجه ووفر له الأموال اللازمة[182]، و في ذلك يقول السيوطي وجعل له نفقات النظر في أوقات المدرسة عشرة دنانير، و رتب له من الخبز في كل يوم ستين رطلا بالمصري ورأويتين من ماء النيل[183] وهذا يعطينا فكرة على مدى الرعاية و المتبعة لهذه المدرسة من لدن السلطان.

4.1.1.4.2المدرسة السيوفية

وهي أحدى المدارس بالقاهرة تقع بالقرب من باب الزهومة[184]، أسسها ومولها السلطان سنة 572هـ و كانت البناية عبارة عن دار للوزير المامون البطائحي في الحصر الفاطمي، امابصدد تسميتها، فان المدارس في اغلب الأحيان تسمى بإسم منشئها و قلما تعرف بإسم مدرسها أو مكان وجودها ولأن هذه المدرسة تقع بالقرب من السيوفين عرف بالسيوفية وأبرز الذين تولوا التدريس فيها مجدالدين الحنفي، وكان السلطان يتولى الأنفاق عليها ورتب لها الحاجيات اللازمة [185].

5.1.1.4.2 مدرسة عكا

لم تتوقف جهود السلطان في بناء المدارس عند مصر وانما شملت بلاد الشام أيضاً التي نالت حظها من الإهتمام وإنشاء هذه المؤسسة التعليمية، فبعد ان حقق الأيوبيين الأنتصار في معركة حطين سنة 583هـ و دخلو بعضا من المدن و القلاع ومنها مدينة عكا دون قتال بعد ان طالب اهإليها الامان على انفسهم وأموالهم [186] بعد

---

[182] إبن تغرير بردي، *النجوم الزاهرة*، ج .6، ص. 79.

[183] السيوطي، *حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة*، ج .2، ص. 257.

[184] محمد بن أحمد إبن أياس، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، طبعة الكتباخانة الخديوية، الطبعة الأولى، ج1 ,ص. 72.

[185] إبن دقماق، *الانتصار*، ص. 93 المقريزي، *خطط المقريزي*، ج .3، ص. 319.

[186] إبن العبري، *تاريخ مختصر الدول*، ص. 220.

استتباب امورها، قام بإنشاء مدرسة فيها في السنة نفسها التي دخلت المدينة 583هـ و ذلك عندما قسم دار الاستبارية إلى نصفين جعل الأول مدرسة و النصف الاخر رباطا،[187] إلا أن المصاجر التاريخية لا تعطينا معلومات كافية عنها وعن العلماء الذين تولوا التدريس فيها و المدرسة الاصلاحية.

بعد ان دخل الأيوبيين القدس سنة 583هـ أول عمل قاموا به تحسين احوالها و تعميرها، وقد اشاد المؤرخ إبن كثير إلى ذلك بقوله و تنافس بنو أيوب فيما يفعلونه ببيت المقدس و غيره من الخيرات إلى كل أحد[188] ومن هذه الاعمال ما قام به السلطان في إنشاء المدرسة الصلاحية التي سميت بإسمه،[189] وذلك بعد ان اجتمع بالعلماء والاتقياء و توصلوا إلى ضرورة إنشاء مدرسة بالمدينة[190] و استقر الراي على تحويل الكنيسة التي كانت تعرف بصندحنة إلى المدرسة ووقف عليها ما يلزم،[191] و ذكر لنا المؤرخ إبن واصل بان الكنيسة التي كانت بالاساس دار علم قبل ان يملك الفرنج القدس، وكان يتولى التدريس بها الفقيه نصر بن ابراهيم المقدسي المتوفي سنة 490 و عندما ملك الصليبيون القدس سنة 492هـ حولوها إلى كنيسة، وأصبحت كذلك سنة 583هـ عندما حولها السلطان إلى مدرسة و فوض تدريسها ووقفها إلى القاضي بهاء الدين إبن شداد المتوفي سنة 632هـ [192].

كانت المدرسة قريبة من الحرم القدسي[193] و السلطان يتولى رعايتها والإشراف عليها و زيادة النفقات عليها منها الزيادة التي أمر بها في اثناء زيارته لها سنة 588هـ،[194] و هذا يوضح لنا مدى العناية و الإهتمام من لدن السلطان لتلك المؤسسات

---

[187] العماد الأصفهاني، *الفتح القسي في الفتح القدسي*، ص. 182.

[188] إبن كثير ،*البداية والنهاية*، ج .12، ص. 327.

[189] النعيمي، *الدارس في تاريخ المدارس*،ج -.2، ص. 8.

[190] العماد الأصفهاني، *الفتح القسى في فتح القدسي*، ص. 145

[191] إبن واصل، *مفرج الكروب* ، جـ .2، ص. 230.

[192] إبن واصل، *مفرج الكروب* ، جـ .2، ص. 407.

[193] السبكي، *الطبقات الشافعية الكبرى*، ج. 8 ,ص. 185.

[194] إبن واصل، *مفرج الكروب*، جـ .2،ص407.

التعليمية، حتى ما لبث ان أصبح تتمتع بمكانة علمية كبيرة و تعد في طليعة المؤسسات العلمية في القدرس، ولاسيما بعد ان تولى العلماء البارزن التدريس فيها، امثال المؤرخ إبن واصل الذي تولى التدريس بها نيابة عن والده [195] والقاضي بهاء الدين إبن شداد السألف الذكر الذي كان يدير المدرسة بأمر من السلطان [196] و فضلاً عن هذه المدارس فهناك مدارس اخرى قد أسسها أو ساهم في انشائها السلطان صلاح الدين،[197] إلا أن المصادر لا تعطينا المزيد من المعلومات عنها بسبب تركيزهم على الناحية العسكرية والسياسية.

ولرفع المستوى العلمي للمدرسة كان السلطان يحأول جاهدا اسناد الدروس لمن حصل على اسناد عال وانتهت إليهم رئأسسة العلم أو عرفو بالبحث والتقصي، اى انه كان يعتد بالدرجة الأولى على من كانت له شهرة سابقة و مكانة علمية تؤهله لذلك، إضافة لذلك قيامه بترتيب الأوقاف اللازمة للصرف من ريعها على المدرسة و طلابها، و الغرض منها تشجيع الكل على كواصلة الدروس و طلب العلم و المعرفة بكل حب واخلاص، و تخصيصه لمبالغ محدودة لصرفها على شؤون تلك المدراس ان ما قام به صلاح الدين من خلال إنشاء المدارس و تمويلها كان له الأثر الكبير على اسرته الذين ساروا على نهجه في إنشاء المدراس و اعانتها مم اجعلها تضاهي مدارس السلطان، نذكر منها المدرسة العادلية التي بنها الملك العادل أبوبكر أخو السلطان في القاهرة وهي مدرسة على المذهب المالكي، وكان بناؤها متقنا و محكما،[198] وانشأت ست الشام اخت صلاح الدين المدرسة الشامية البرانية في دمشق التي وصفها المؤرخ النعيمي بكونها من اكبر المدارس و اعظمها،[199] فيها انشأت زوجة صلاح الدين خاتون بنت معين الدين المدرسة الخاتونية الجوانية في دمشق و هيأت لها الأموال و

---

[195] إبن واصل، *مفرج الكروب*، جـ . 4، ص208.

[196] ابن شداد، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية*، ص. 239.

[197] إبن دقماق، *الانتصار*، ص. 93، والمقريزي، خطط المقريزي، جـ. 3، ص. 86.

[198] النعيمي، *الدارس في تاريخ المدارس*، جـ. 1، ص. 273.

[199] النعيمي، *الدارس في تاريخ المدارس*، جـ. 1، ص. 209.

المستلزمات، و قد بنت مدرستها تلك في سنة 581هـ [200] وكان لإبنهاء صلاح الدين دور في إنشاء المدارس منهم الملك الظاهر غازي الذي بنى المدرسة الظاهرية البرانية في حلب، وكان يوصف بكونه يكرم العلماء و الشعراء، [201]وما أبناءه المؤسسين للمدارس الملك العزيز عثمان الذي إنشاء مدرسة العزيزية بدمشق، حيث كلف القاضي محى الدين إبن الزكي بالاشراف عليها لما كان يعرف باكرم والحياء و العفة،[202] و مدارس اخرى لا نريج الخوض فيها، والجدير بالذكر ان السلطان صلاح الدين قام بترتيب الأوقاف اللازمة لكثير من المدارس التي انشأها إبناء البيت الأيوبي و خصص الأموال والمستلزمات منها المدرسة التقوية بدمشق التي انشأها إبن اخيه تقي الدين عمر،[203] والمدرسة العمادية بدمشق،[204] ومن هذا يتبين لنا مدى حرص السلطان على العلم ومدى تعلقه به، و كيف كان له الأثر البالغ على اقربائه للسير على مسرته و نهجه و اقتفاء أثره في تاسيس المدراس و تمويلها.

وأمر صلاح الدين بفتح مارستان في الفسطاط على نمط مارستان القاهرة، وحدد له مصادر الايراد والنفقة عليه. وأنشأ في عام 577 هـ / 1182م مارستاناً في الاسكندرية، وعين له الاطباء والموظفين، وخصص أطباء يعالجون المرضى الذين يترفعون عن الوصول اليه من الغرباء، خاصة، في بيوتهم[205].

---

[200] النعيمي، *الدارس في تاريخ المدارس*، جـ. 1، ص. 389.

[201] النعيمي، *الدارس في تاريخ المدارس*، جـ. 1، ص. 258 ومحمود ياسين التكريتي، *الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة*، ص. 412.

[202] النعيمي، *الدارس في تاريخ المدارس*، جـ. 1، ص. 291.

[203] النعيمي، *الدارس في تاريخ المدارس*، جـ. 1، ص. 163.

[204] النعيمي، *الدارس في تاريخ المدارس*، جـ. 1، ص. 309.

[205] ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، ص. 15 - 16.

2.1.4.2الخوانق

الخانقاه والرباط والزاوية، هي معاهد أو دور دينية اسلامية لايواء الزهاد والمتعبدين والمنقطعين للعلم من الرجال والنساء. أما الخانقاه فهي لفظة فارسية بمعنى البيت، وأما الرباط والزاوية فلفظان عربيان.

وجدت الخوانق في بلاد الشام منذ السنة 400هـ. ويعتبر صلاح الدين أول من أنشأ الخوانق في مصر، لأنه كان يهتم بالأساليب الصوفية، ويحب المتصوفين، وذلك يفسر لنا الداعي في زهده وتقشفه وبساطته في كل هيئة خارجية من أشكال حياته.

وخصص صلاح الدين الخانقاه الصلاحية في عام 569هـ / 1173م لفقراء الصوفية، الواردين من البلاد الشاسعة، ووقفها عليهم، وتقع في مقر بمقابل الوزارة، وتسمى بدار سعيد السعداء، وولى على الزهاد شيخاً سماه بـشيخ الشيوخ، وبنى لهم الحمامات، ووضع لهم أنظمة خاصة من أجل مساعدتهم في السفر والحضر. وقد كان من شدة اهتمامه بذلك المرفق أنه أوقف عليه الاوقاف العظيمة، وبنى في منزل المقدس، بعد فتحها، رباطاً أو خانقاه في دار البطريرك وأوقف عليه الاوقاف[206].

وأنشأت عصمة الدين خاتون، زوجة صلاح الدين، خانقاهاً خارج باب النصر في القاهرة[207].

وذكر ابن جبير أن ''الرباطات و الخوانق كانت كثيرة منشرة في دولة صلاح الدين بسبب حبه الشديد للمنقطعين لعبادة الله، وهذه الطائفة الصوفية هم الملوك في هذه البلاد، لأنهم قد كفاهم الله مؤن الدنيا وفضولها، وفرغ خواطرهم لعبادته''[208]

3.1.4.2الخانات

بنى صلاح الدين الخانات في الأماكن المنقطعة، البعيدة عن العمران، وفي الأساليب الموصلة بين المدن، وهذا لخدمة أولاد السبيل والمسافرين، وفي ذلك الحين

---

[206] المقريزي، *خطط*، جـ.4 ، ص. 282 - 283.
[207] عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، جـ. 4 ، ص. 272.
[208] ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، ص. 256.

شاهد ابن جبير الخان الذي بناه صلاح الدين في الطريق بين مدنتي حمص ودمشق، وقد كان يسمى بـ"خان السلطان"[209].

4.1.4.2 المساجد و الجوامع

تعد المساجد و الجوامع من المؤسسات التعليمية التي أدت قسطاً منها إلى نشر العلوم إلى جانب صفتها الرسمية كمكان للعبادة، و بما فيها من الحلقات الدراسية واستمرت كذلك على مر السنين حتى أصبحت من المراكز المؤثرة على المجتمع بما كانت تدار فيها من جلسات التعليم المختلفة و المناظرات الثقافية [210]

لم تذكر المصادر التاريخية أن صلاح الدين بنى مسجداً جديداً في أي مكان من دولت، ولعله باصلاح وتحسين وتوسيع الموجود منها، و رأى أن الوضع لا يستدعي اضافة عدد آخر نظراً لكثرتها أو لأن الرعية يقومون بانشائها طوعاً طمعاً في الثواب.

أن ما أورد المؤرخون على الدور الذي قام به السلطان في الإهتمام بالمساجد وانشائها مقتضبة، الا أنهم أجمعوا على مدى رعايته للمساجد و مدى حرصها على القيام بواجبها الدينى والمعرفي، ولاسيما إذا علمنا بانه كان يقوم بنفسه و بتعين و ترتيب ائمة المساجد و اعانتهم من خلال الرواتب الشهرية ما بين خمسة دنانير و أكثر [211].

فمن المساجد التي أسسها السلطان مسجد الإمام الشافعي الذي كان عبارة في قبر الإمام الشافعي سنة 204هـ فجعله السلطان مسجدا للمسلمين سنة 572هـ [212] وأسس عددا من الجوامع كجامع الإسكندرية و ذلك في سنة 577هـ [213]و حظى جامع عمور بن العاص بمكانة طيبة من لدن السلطان من خلال تعميراته و تجديداته من بيوت

---

[209] ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، ص. 233.

[210] توماس ارنولد، *تراث الإسلام*، ص. 482 ومحمد ماهر حمادة، *المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها*، ص. 83.

[211] إبن جبير، *رحلة إبن جبير*، ص. 12.

[212] السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*، جـ. 9، ص. 433.

[213] المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، جـ. 1، ص. 76.

الأموال و فرشهو جعل له السقاية [214]و كان ينفق على المساجد والجوامع النفقات من بيت الأموال بل شجع على امتلائها و عقد الجلسات العلمية فيها [215].

5.1.4.2البيمارستانات

من المؤسسات الخدمية التعليمية التي أسسها السلطان صلاح الدين هي البيمارستانات، وهي كلمة فارسية مركبة من بيمار بمعنى المريض و ستان بمعنى المكان، اى مكان المرضى،[216] اي المستشفى بالمعنى الحالي

و كانت البيمارستانات في تلك الحقبة عبارة عن مستشفيات عامة مستقبلة لجميع حالات المرضى و المصابين، و القائم با العمل فيها من الجراحين و صيدلأنية و كحالين،[217] و كذلك يلقون دروسهم الطبية و يمتحنون الطلاب ويجيزونهم،[218] و بهذا تكون البيمارستانت ذات فائدتين معا فائدة المرضى من حيث علاجهم و العناية بهم ولفائدة الثانية التي تهمنا هي الحصول على تعليم الطب و علومه وهذا يعني ان التجربة العلمية تسير جنبا إلى جنب مع التجربة النظرية،[219] لذا نجد أنها كانت بمثابة مؤسسة تعليمية و معاهد لتعليم مهنة الطب أيضاً.

لم يكن في عهد صلاح الدين مدراس خاصة لدراسة الطب، بل كان هذا النوع من الاختصاص يدرس في المستشفيات، ثم ينساب الطالب بعد المحاضرة بين المرضى ليعاين الأمراض، ويعالج المرضى. وفي 577هـ / 1182م فتح صلاح الدين مارستاناً في أحد جوانب القصر الفاطمي، وعين فيه الأطباء من مختلف الاختصاصات وصيادلة وممرضين وعمالاً و خدماً وأوقف عدة مرافق في القاهرة والفيوم لتدر عليه ما يتكفل بمصاريفه، وقد ملأ مخازنه بالادوية والعقاقير الطبية، وخصص فيه جناحاً

---

[214] السيوطي، *حسن المحاضرة*، في اخبار مصر والقاهرة، جـ. 1، ص. 198.

[215] إبن جرير، *رحلة إبن جرير*، ص. 22.

[216] إبن ابي اصيبعة، *عيون الأنباء في طبقات الاطباء*، ص. 47

[217] كولان، *مادة بيمارستان دائرة المعارف الإسلامية*، جـ. 9، ص. 61.

[218] توماس ارنولد، *تراث الإسلام*، ص. 482.

[219] رشيد الجميلي، *حركة الترجمة في المشرق الإسلامي*، ص. 351.

للنساء، وجناحاً آخر لمرضى العقول، وكان دائم الاشراف والسؤال عن هذا المارستان[220].

وقد انشأ السلطان بيمارستان بالقاهرة،[221] و هيئا لها الحاجات و الأوقاف،[222] ومن أبرز الاطباء الذين تولوا التدريس فيها الطبيب الذين تولوا التدريس فيها الطبيب رضى الدين الرحبي الذي خصص له السلطان في كل شهر ثلاثين دينار مقابل التدريس في البيمارستانات،[223] و كذلك قام السلطان بتوفير المستلزمات لها من خلال ايجاد خزائن للعقاقير، وأسرى للمرضى و المصابين و وفر الخدم لرعاية المرضي و توفير الاشربة و الاغذية فضلاً عن جناح خاص للنساء بكامل مستلزماته،[224] و انشأ أيضاً بيمارستان بالإسكندرية ووفر لها الاطباء و الخدم،[225] وفي القدس أيضاً قام بإنشاء بيمارستان ووفر لها كل الوسائل و الأوقاف و اللازمة فضلاً عن توفير المدرسين من الاطباء [226].

6.1.4.2الربط و الخانقهات والزوايا

شاركت تلك المؤسسات الدينية في النهضة العلمية ال جنب مع المدارس و المساجد و البيمارستانات، اى يمكن تلك المعاهد مراكز العلم، زهذا ما نلحظه من خلال الر بط والتي كان لها أثرها في نشر الثقافة والعلوم، اذ لم تكن الربط مقصورة على التعبد و التزهد بل كانت أيضاً مواضع للتاليف والصنيف والمحاضرات، و كانت هذه

---

[220]ابن جبير، *رحلة ابن جبير*، ص. 26.

[221] إبن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ. 6، ص. 206.

[222] أبو شامة، *الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية*، جـ. 1، ص. 688.

[223] إبن ابي اصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 673.

[224] إبن جرير، *رحلة إبن جرير*، ص. 20-21.

[225] إبن جرير، رحلة إبن جرير، ص. 10.

[226] العماد الأصفهاني، *الفتح القسي*، ص. 145، وإبن الأثير، *الكامل في التاريخ*، جـ. 9، ص. 222.

الربط بمثابة منازل العلماء الراحلين من بلد إلى آخر،[227] منها ما انشأ بعد تحريره القدس ووقف عليها الوقوف أيضاً،[228] وانشأ بجوار قيسارية القصاع بدمشق رباطا ووفر لها المستلزمات والحاجات،[229] وقام بإنشاء رباط في عكا سنة 583هـ، عندما جعل قسما من دار الاستبارية رباطا [230].

وإهتم السلطان بإنشاء الخانقاهات التي تعني البيت الايواؤ الصوفية و المأخوذة من الكلمة الفارسية خانكاه، [231]بحيث كانوا يمارسون فيها الأنقطاع إلى دراسة الاحكام الشرعية من القران والحديث سواء من ناحية معانيها أو آثارها من خلال دراسة عميقة لها،[232] فقد انشأ أو خانقاه سنة 569هـ و سميت بإسمه الخانقاه الصلاحية[233] و كانت تسمي أيضاً بخانقاه سعيد السعداء والذي كان يقع بالقرب من باب النصر بالقاهرة،[234] وقد ولى السلطان عليها شيخا عاملا ليتدبر تنظيما وامورها ووقف له بستانا ورتب للواردين البها في كل يوم الاطعمة من اللحم والخبز ويقول المقريزى عنها وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح، وولى مشيختها الاكابر والاعيان[235] و بعد دخوله القدس سنة 583هـ إنشاء أيضاً خانقاه بها [236].

---

[227] محمد حسن الزبيدي، *ملامح من النهضة العلمية في العراق*، ص. 37، ورشيد عبدالله الجميلي، *دولة الاتابكة في الموصل*، ص. 319، ومصطفى جواد، *الربط البغدادية وأثرها على الثقافة الإسلامية*، مجلة سومر، جـ. 2، ص. 224.

[228] إبن اثير، *الكامل*، جـ. 9، ص. 222،وانظر أيضاً، إبن خلدون، *تاريخ إبن خلدون*، جـ. 5، ص. 37.

[229] أبو شامة، *الروضتين*،1 جـ. ، ص. 395.

[230] العماد الاصفهاني، *الفتح القسي*، ص. 182.

[231] المقريزي، *خطط المقريزي*، جـ. 3، ص. 399.

[232] إبن خلدون، *المقدمة*، ص. 370.

[233] المقريزي، *خطط المقريزي*، جـ. 3، ص. 402.

[234] إبن اياس، *بدائع الزهور*، ص. 72.

[235] المقريزي، *خطط المقريزي*، جـ. 3، ص. 402.

[236] النعيمي، *الدارس*، جـ. 1، ص. 457.

وقام بتعين شيوخها الذين تولوا تدبيرها ورتب لها الرواتب و المستلزمات، و عندما زاره السلطان سنة 588هـ زاد من وقفها،[237] وكذلك انشأ بدمشق الخانقاه الناصرية [238].

ومن دور العلم التي انشاها السلطان الزوايا، وقد كانت في بداية الأمر عبارة عن زأوية من زوايا المسجد خصصت للتعبد، ثم مالبثت ان تطورت إلى إبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدن تقد بها حلقات دراسية من العلوم النقلية و العقلية،[239] ومنها الزأوية الختنية نسبة إلى الشيخ المعروف بالختني الذي عينه صلاح الدين متوليا عليها [240].

7.1.4.2 الكتاتيب

تمثل الكتاتيب بمثابة مدراس لتعليم الصغار القراءة و الكتابة، اشتق اسمها من تعليم الكتابة، على الرغم أن هذه التسمية لم تكن موجودة في ذالك الوقت و إنما وردت بصيغة المحاضر[241] و بمرور الزمن اضيفت إليها القصص وأخبار الامم والشعر والاحكام الدينية ومبادئ الحساب و قواعد اللغة إلى التعليم،[242] و قد انشأ السلطان عددا منها ةلا سيما لإبناء الفقراء ةالايتام ووفر لها المعلمين واعانتهم وقطع لهم الرواتب [243].

---

[237] إبن واصل، *مفرج الكروب*، جـ. 2، ص. 407.

[238] النعيمي، *الدارس*، ص. 139.

[239] حسن ابراهيم حسن، *تاريخ الإسلام*، جـ. 4، ص. 423.

[240] إبن حجر، *الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة*، جـ. 1، ص. 378.

[241] إبن جرير، *رحلة إبن جرير*، ص. 22.

[242] محمد الحسيني عبدالعزيز، *الحياة العلمية في الدول الإسلامية*، ص. 32.

[243] إبن جرير، *رحلة إبن جرير*، ص. 22.

8.1.4.2 المكتبات

تعد المكتبات من المؤسسات المهمة في المسيرة العلمية، وقد كانت هذه المكتبات تزخر بمؤلفاته عديدة في ميدان الفكر و الدين و العلوم، وإشتهر صلاح الدين بحبه في تشجيع العلماء حتى كان لا يبخل أيضاً في اعطاء أموال طائلة لهم لشارء الكتب لكي يعموا مكتباتهم الخاصة و بالتالي رفع المستوى العلمي للبلاد[244] واطلاع الاخرين على تلك المكتبات، بل كان السلطان كثير القرأة للكتب، فمثلا نجد القاضي إبن شداد قد ألف له كتابا جمع فيه كل فنون واداب الحرب فاعتز به وأكثر في مطالعته،[245] ونتيجة لتشجيعاته و عرفانه للمؤلفين قام عدد منهم باهداء كتبهم إليه كما فعل الطبيب موفق الدين بن المظران اذ اهدى أحد كتبه له، بل و جعل عنوان كتابه مقترنا بإسم السلطان أيضاً [246].

و نلاحظ عناية السلطان للمكتبات الموجودة في المدن، حيث كانت توجد بمدينة امد مكتبة عأمرة بالكتب و المخطوطات في أحدى بنايتها وكان فيها بحسب قول المؤرخين أكثر من مليون مجلد من التصانيف المختلفة، فقد كلف السلطان وزيرة الأديب القاضي الفاضل عبدالرحيم البيستانى بالاشراف عليها و توليتها،[247] وبما ان مكتبات المدارس ذات فائدة قيمة للطلاب و ذلك لتسهيل الحصول على الكتب التي يتدأو لونها أون بحاجة إليها من اجل الدراسة والبحث، ولهذت قام السلطان بالحاق المكتبات بالمدارس التي انشاها إلى جانب اسهامه الفعال في الحياة العلمية [248].

---

[244] أبوشامة، *الروضتين*، جـ 1، ص. 687.

[245] إبن شداد، *النوادر*، ص. 86.

[246] إبن ابي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 658.

[247] إبن العبري، *تاريخ الزمان*، ص. 200 محمد زغلول سلام، ضياء الدين إبن الأثير، ص. 9.

[248] محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص. 144.

2.4.2 علاقته بعلماء و مفكري عصره

إشتهر عن السلطان صلاح الدين حبه للعلم و حرصه على جمع العلماء حوله و حضور مجالسهم و الاستماع إليهم و مشاركتهم في ندواتهم و احترامهم ولا ادل على ذلك من النتاج العلمي الوفير في عهده ومن توافد الشخصيات البارزة في شتى صنوف المعرفة على السلطان وبما نالوا من الاحترام والتقدير والتشجيع من لدنه وهذا بحد ذاته نوع من الإهتمام والعرفان لهؤلاء[249]، وكانت تلك المجالس بعيدة عن الهزل واللهو على عكس غالبية الخلفاء الذين اشتهروا بمجالس الترف والمرح واللهو، بك كانت مجالسه زاخرة بالعلماء وكانوا يبحثون شتى العلوم[250] وليس هذا فحسب بل كان و على ذكر احمد أبرز اصحابه المرافقيه له بانه ماكان يجب ان يسمع من اى شخص سوى الخير، ويحث الاخرين بالإحسان وعدم سماعه للشتائم أو ذكر الاخرين بالسوء، فضلاً عن انه ما كان يجب ايذاء احمد لكونه طاهر القلب واللسان [251].

ويتبين لنا من خلال استقراء علاقته بالعلماء بانه لم يكن مقصرا بحقهم ولم يكن بخيلا معهم و هذا ما يؤكده المؤرخ الصاحب إبن شداد وكان يكرم من يرد عليه من المشايخ وارباب العلم والفضل و ذوى الاقدار، و كان يوصينا بان لأنغفل عمن يجتاز بالخيم من المشايخ المعروفين حتى نحضرهم عنده، وينالهم من احسانه وكذلك لم يكن مسدود الدار عن هؤلاء وكل همه إنشاء المؤسسات الخدمية و التعليمية و توفير كافة المستلزمات والضرورات، وايجاد الرواتب والارزاق حتى قيل بانه صرف غالبية أمواله لهؤلاء العلماء،[252] ولم يكن يماطل أو يمازح أحدا في وعوده بل كان حسن الوفاء بالعهد إذا تعهد أحدا بشيء معين وفي هذا يقول النعيمي وأكثر ماكان عطاؤه

---

[249] المقريزي، *السلوك*، جـ. 1، ص. 149.

[250] النعيمي، *الدارس*، جـ. 2، ص. 140.

[251] ابن شداد، *النوادر السلطانية*، ص. 31.

[252] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 652.

يصل إلى أهل العلم وأهل البيوتات، ولم يكن ليمطل، ولا لصاحب هزل عنده نصيب، وكان حسن الوفاء بالعهد [253].

وفضلاً عن الراتب الشهري للعلماء نجد مدى حرصه على الوفاء بالعهود وانه كان يحدد راتبا معينا للاطباء المعمرين الذين فقدوا القوة وتقدموا في العمر، ومن جملة كرمه لهؤلاء انه لم يكن بخيلا باعطاء الأموال لهم إذا كانوا بحاجة إليها بل سخر ايرادات الدولة لمن يحتاج إليها و لا سيما من العلماء [254].

ومن الثابت تاريخياً انه قد دعم مدراسه و بيمارستاناته و مؤسساته الاخرى بالأوقاف الكثيرة، وبشكل مستمر وإهتم برفع المستوى المعيشى للمتولين عليها، ولم تكن تلك الأوقاف اراض زراعية فقط بل كانت من الارزاق والحاجيات والمستلزمات الضرورية، كل ذلك من اجل توفير سبل العيش و الرخاء للمدرسين والعلماء والاطباء وهذا يدلنا على مدى الإهتمام بهم،[255] حتى نجده في بعض الاحيان يقوم بتوفير الخبز والماء ونفقة معينة من المال للبعض،[256] ولا شك ان المستوى المعيشى للمدرس و الطلاب يتوقف على قيمة الأوقاف و مقدارها والذي يؤدي بالتإلى إلى إهتمام هؤلاء أكثر بالعلوم .

ولم يكن اقرباء السلطان واعوانه كلهم من رجال السياسة العسكريين وانمان كان من بينهم العلماء والمفكرين وقد جعل البعض منهم مستشلراخاصا له كالفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري لما عرف عنه من الحكمة والدرع[257] وللأهمية التي كان يتمتع به القاضي ضياء الدين بن تاج الدين الشرزروي نجد السلطان حريضا على احترامه والتقرب إليه حتى انه كان يكلفه بمهمات سياسية، فضلاً عن كونه قاضيا في بلاد

---

[253] النعيمي، *الدارس*، جـ. 2، ص. 142.

[254] إبن ابي اصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 652.

[255] إبن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، جـ. 6، ص. 55.

[256] السيوطي، *حسن المحاضرة*، جـ. 2، ص. 257.

[257] إبن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، جـ. 6، ص. 110.

الشام، ومن شدة إعجابه فان اكرمه غاية الاكرام واعطاه دارا بالقاهرة ووفر له سبل العيش عندما كان مقيما بها[258] وكذلك الحال بالنسبة للاخرين.

لم يكن الاحترام السلطان لهؤلاء إلا حباً لهم و بالمقابل فإن الصداقة المتينة التي كونها بعض هؤلاء معه انما كان بنية صافية، حتى نجد البعض، لم يكن بمقدورهم العيش بدون هذه الداقة كما نجد الحال عند الكاتب الأديب عماد الدين الاصفهاني الذي ما ان مات السلطان حتى انقلبت به الأوضاع وسيطر عليه الحزن ولم يحب مصاحبة أحد فلزم بيته و شغل نفسه بالكتابة والقراءة[259]، ان المكانة الطيبة التي تمتع العلماء بها من لدن السلطان كانت متينة ويبدوا ذلك واضحاً من خلال احترامه المبالغ لبعض منهم[260] حتى كان يشارك بنفسه في تشييع جنازتهم [261].

1.2.4.2 علاقته بالاطباء

من خلال قراءتنا للنصوص يتبين لنا مدى إهتمام السلطان صلاح الدين بالاطباء ومدى المساندة و المعاونة التي ابداها لهؤلاء العلماء من طبقة الاطباء، حتى انه لم يبخل عليهم بالأموال و الامتيازات للاستمرار في خدماتهم و دراساتهم الطبية والتي كانت من نتائجها بروز عدد كبير من الاطباء المشهورين الذين لقو كل الاحترام والتقدير من لدن السلطان وذلك الحاجة البلاد إليهم، فقدر الاطباء و عزز مكانتهم و شجعهم على مهنتهم سواء بمدأواة المرضي أو بتركيب الادوية و تحضيرها أو بتاليف الكتب في هذا المجال .

وممن نالوا عناية السلطان الطبيب موفق الدين بن جرجيس المطران المتوفي سنة 567هـ، الذي كان نصرانياً فاسلم على يدي السطان،[262] وخدم بمهنته حتى توطدت

---

[258] أبو شامة، *الروضتين في أخبار الدولتين*، جـ. 1، ص. 673.

[259] إبن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ. 4، ص. 238.

[260] الذهبي، *العبرة*، جـ. 3، ص. 95 والحنبلي، *شذرات*، جـ. 4، ص. 337.

[261] إبن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ. 2، ص. 473.

[262] إبن أبى تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، جـ. 6، ص. 113.

العلاقة بينهما ورفع شأنه و منزلته ولم يبخل السلطان عليها بالأموال والمساعدة، وذكر من عادته تنصيب خيمة حمراء له في غزواته، في يوم ما رأى السلطان خيمة حمراء و سأل عنها إلى ان عرف انه للطبيب إبن مطران، فأمر السلطان بازالتها مما جعل العلاقة بينهما تسوء لمدة يومين ثم ما لبث ان استرضاه صلاح الدين ووهب له بالامول، و توطدت العلاقة حتى ألف للسلطان كتاباً سماه بإسمه المقالة الناصرية في حفظ الامور الصحية[263].

و بلغت العلاقة بينه و بين الاطباء إلى منحهم الجامكية،[264] كالطبيب السيد الى المنصور شرف الدين المتوفي سنة 592 ه، و الدي وصف بكونه خبيراً باصولها وفروعها و جيد المعالجة، والدراية، مما جعل السلطان يحترمه و يقطع له الرواتب المنتظمة مدة مقامه بالقاهرة،[265] ومن العلماء الذين نالوا الجامكية من السلطان صلاح الدين أبو شجاع إبن الدهان المنجم، فبعد عشرين سنة من ممارسة مهنته بالموصل توجه إلى دمشق فاكرمه السلطان والاسرة الأيوبية حتى أجرى له في كل شهر ثلاثين دينار و حظى عنده بمنزلة رفيعة وألف الكتب في مجال تخصصه[266].

و نتيجة للعلاقة الوطيدة بين السلطان و بعض الاطباء لازموه طيلة حياته و خدموا الدولة الأيوبية منهم برهان الدين أبوا لفضل سليمان المختص في طبابة العيون الكحالة و عرف عنه ان له دراية و معرفة بها، ويذكر لنا المؤرخ الطبيب ابي اصيبعة بانه نظر للعلاقة بينهما و المنزل عالية ولتكريمه على خدمة دولته طيلة حياته أمر بان يقطع له الجامكية أيضاً تشجيعا له، وقد استمر الطبيب على هذا المنوال إلى ان وافاه الاجل [267] ومنهم الطبيب رضي الدين يوسف بن حيدرة الرحبي المتوفي سنة 631هـ، صاحب كتاب المسائل الذي كان أيضاً متخصصا في طب العيون و كان أبوه أيضاً

---

[263] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، 652-658.

[264] الجامكية: هي الرواتب المربوطة لشهر أو أكثر وهي تعريب جامكي المركب من جامة.
أي قيمة ومن كي وهو أداة محمود ياسين التكريتي، *الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة*، ص. 326.

[265] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 574.

[266] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 659.

[267] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 660.

مختصا بطبابة العيون،[268] وطلب منه السلطان ملازمته في سفراته و غزواته إلا أن الطبيب لم يرض بذلك، وأثر البقاء في دمشق وللافادة من خبرته و مدأواة المرضي طلب منه السلطان البقاء في المدينة و يشتغل في البيمارستان مقابل راتب شهري قدرة ثلاثين دينارا،[269] و رضى الطبيب بذلك وبقى على هذا الحال طيلة حياة السلطان[270] و اشتغل عنده الكثيرون و تخرج علي يديه الاطباء، وألف العديد من الكتب [271] كانت السمعة الطيبة التي تمتع بها بعض الاطباء لمهارتم في أداء الواجب الإنساني و مزأولة مهنته بكل اخلاص و حب مما جعل السلطان يقربهم اله خدمة دولتهو كان يكن لهم الاحترام الشديد كالطبيب مهذب الدين إبن النقاش المتوفي سنة 574هـ الذي خدم أهالي دمشق،[272] و الطبيب موسى بن ميمون القرطبي المتوفي المتوفي سنة 610هـ صاحب كتاب تنقيح الفصول الذي كان من العالجين للسلطان و إبنه الاكبر الملك الافضل لدرايته في معالجة الأمراض،[273] ومنهم أبو الموافق بن القضاعي المتوفي سنة 598هـ الذي دخل في خدمة السلطان و قيل عنه بانه من امهر اطباء العيون واميزهم [274].

لم تكن إهتمامات السلطان بالاطباء محصورة بالمسلمين فقط وانما في سبيل خدمة الدولة و النهوض الثقافي بها قام بتوفير العناية و الرعاية للاطباء أيضاً لليهود والنصارى اذ كانت جل إهتمامته توطيد العلاقة مع هؤلاء على رغم من ان حروبه و معاركه كانت منصبة ضد النصارى من الصليبين، الا انه لم يميز في علاقته مع اطباء النصارى واليهود بل سأوى فيما بينهم بحسب خدمة أهالي المنطقة وانتفاع الاخرين بما ليدهم من العلوم، ومنهم الطبيب أبو الفرج النصراني الذي كان كثير التردد على السلطان، الذي لم يبخل عليه إذا ما طلب منه مالا أو مساعدة، فقد ذكرت أحدى

---

[268] الذهبي، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، ص. 76-77.

[269] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 672-673.

[270] القفطي، *تاريخ الحكماء من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء*، ص. 148.

[271] النعيمي، *الدارس* ، جـ. 2، ص. 100.

[272] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 637.

[273] الكتيني، *فوات الوفيات*، ص. 175-176.

[274] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 582.

النصوص التاريخية ان الطبيب كان بحاجة الت تجهيز بناته المر الذي دفعه إلى طلب الإستعانة من السلطان الذي طلب منه ان يكتب ما يحتاج إليه على ورقة لتحضيرها له و كتب الطبيب كل ما يريد من القماش والآلات والأدوات وغير ذالك إلى ان بلغت حصيلة إحتياجاته نحو ثلاثين ألف درهم و لما قرأ السلطان مطابه أمر الخزندار بشراء جميع احتاجاته فإشتراها [275].

وبلغت العلاقة بين السلطان والأطباء النصارى درجة كبيرة اذ لم تقصر رعاية السلطان على هؤلاء الاطباء فحسب بل شملت أولادهم أيضاً، فنج الطبيب داوود بن أبي المنى بن أبي فانة المتوفي سنة 583هـ يرسل رسالة إلى السلطان متمنيا الدخول لبيت المقدس و خدمة اهاليها و عندما دخل المدينة اكرمه و قدره، و خصص الرواتب والامتيازات لأولاده الذين كانو أطباء أيضاً، وبعد وفاة الطبيب المذكور اخد السلطان على عاتقه رعاية أولاده الخمسة واعتنى بهم ثم طلب من أخيه العادل أن يرعى هؤلاء و يجعلهم من خواصه [276].

وكذلك كان للسلطان صلاح الدين علاقات طيبة من الاطباء اليهود دون النظر إلى اى اعتبارات دينية أو عرقية اذ كون صداقة مع البعض منهم الطبيب أبو البيان بن المدور الذي كان موضع اعتماد السطان في مصر، ونظرا لخدماته الجليلة و كبر سنه و ضعف بدنه و عدم قدرته على الحركة والخدمة خص له السلطان راتبا تقاعديا قدره أربعة و عشرين دينار في كل شهر، وبقى على هذا المنوال و جامكيته تصل إليه سنوات عديدة و لكنه لم يتحمل الحياة دون عمل فكان الطلاب يترددون عليه في بيته للاستزادة منه وألف كتابا سماه مجيرات في طالب، وبقى على هذا الحال إلى ان توفي سنة 580هـ، [277] و كان السلطان أيضاً يكن الاحترام و التقدير للطبيب اليهودي إبن جمع بن افرائيم بن يعقوب الاسرائيلي الذي كان له مجلس عام يحضره طلبة العلم ممن يمتهنون الطب في مصر، وقال عنه الطبيب المؤرخ ابي اصيبعة"خدم الملك الناصر

---

[275] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 652.

[276] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 589.

[277] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 580.

صلاح الدين يوسف بن أيوب و حضى في ايامه و كان رفيع المنزلة عنده، عإلى القدر، نافذ الأمر، يعتمد عليه من صناعة الطب[278] ومن الاطباء اليهود ممن الفوا كتبا للسلطان الطبيب عفيف بن سكرة من أهل حلب الذي ألف كتابا في القولنج 584هـ[279].

2.4.4.2 علاقته بالمؤرخين

يعد التاريخ من أهم العلوم الإنسانية إلى كانت موضع إهتمام بعض الباحثين في العصر الأيوبي وقد لقى المؤرخون الإحسان والتشجيع من لدن صلاح الدين الأيوبي حتى وصلت الحالة بهم إلى ان بلغوا اعلى سلم المناصب السياسية ومنهم المؤرخ عماد الدين الكاتب الاصفهاني المتوفي سنة 597هـ الذي نشأت في البداية صداقة بينه وبين نجم الدين أيوب والد صلاح الدين الأيوبي فقربه وورث صلاح الدين عن أبيه مودة العماد ولازمه ملازمة قوية، يقيم لقيامه ويرحل لرحيله و كان موضع ثقة السلطان ووطدت العلاقة بينهما إلى ان صاحبا البعض في اغلب الاحيان حتى صار المؤرخ يضاهي الوزراء،وكان العماد رئيساً لديوان الانشاء في الدولة النورية وذلك في فترة تاريخية من أدق فترات مصر والشام. ونعني بها الفترة التي كان نور الدين مشغولاً في أثنائها بمحاربة الصليبيين، واستمرت العلاقة بين صلاح الدين و العماد حتى وفاة السلطان سنة 589هـ الأمر الذي أدى إلى اضطراب احواله و تعطل أوصاله، ووجد كل الأبواب مسدودة في وجهه حتى لزم البيت و اشتغل في تصنيف الكتب منه كتاب البرق الشامي و كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي[280] وكان كتاب الفتح القدسي في الفتح القسي عبارة عن تاريخ سبع سنوات فقط من حياة صلاح الدين حتى عام 583 هـ وهو العام الذي فتح السلطان فيه بيت المقدس.

اما المؤرخ الصاحب للسلطان بهاء الدين إبن شداد الأسدي المتوفي سنة 632هـ فكان له أيضاً علاقة صداقة مع السلطان و كان السلطان في كثير من سفراته و تنقلاته

---

[278] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء* ، ص. 576-579.

[279] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 638.

[280] إبن الأثير، *الكامل*، جـ. 9، ص. 256 وإبن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ. 4، ص. 233-238.

و يصاحب المؤرخ معه حتى ولاه منصب قضاء العسكر و قضاء بيت المقدس بعد فتحه، ونظراً لمصاحبته و ملازمته في كثير من الأوقات و محبته الكبيرة للتاريخ و سير الرجال ألف كتباً منها كتاب عن الحروب واهداه خصيصا للسلطان، وألف كتاباً خاصاً عن سيرة السلطان وسماه النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية والذي عرف بسيرة صلاح الدين،[281] وأتقن في كتابها وأفاد الناس والمؤرخين كثيراً حتى غدت من اعظم الكتب وأوثقها .

ومن المؤرخين من لهم علاقة وطيدة بالسلطان وحظى عنده بمكانة مرموقة منهم عبد المنعم الجلياني الأندلسي المتوفي سنة 602هـ، الذي كان عارفا بالطب أيضاً و احترمه السلطان كثيرا، حتى صنف كتابا بإسم مناد المادح و روضة المأثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر[282] ومنهم أيضاً المؤرخ يحي اليسع بن عيسى الغافقي المتوفي سنة 575هـ فكان موضع عرفان و تقدير السلطان، واشتهر بكونه مؤرخا عميقا في النسب والتوارخ [283] ان صلاح الدين كما سمع بوجد عالم أو مؤرخ يود له انه يأتي إليه و يشجعه و يكرمه وهذه كانت صفته على الدوام، وهذا ما اشار إليه المؤرخ الأديب اسامة بن منقذ الشيزرى المتوفي سنة 584هـ صاحب كتاب الاعتبار،[284] الذي يعد من المصادر المعتمدة في التاريخ الإسلامي حيث صور فيه تصويراً حياً العصر الذي عاشوها وبطولاتهم الفردية ضد الصليبين،[285] فبعد ان مكث إبن منقذ في حصن كيفا باقليم دياربكر مدة من الزمن منهمكاً في كتابة التاريخ استدعاه السلطان في دمشق فاكرمه و ساعده و كان قد جأوز الثمانين من العمر [286].

---

[281] إبن قاضي شهبة، *طبقات الشافعية*، ص. 427-428.

[282] الكتبي، *فوات الوفيات*، جـ. 2، ص. 408.

[283] الحنبلي، *شذرات بالذهب*، جـ. 4، ص. 250.

[284] كراتشكوفسكي، *مادة أسامة بن منقذ*، دائرة المعارف الإسلامية، جـ. 2، ص. 231-232.

[285] المقريزي، *المواعظ والاعتبار*، ج3، ص. 107، وما بعدها.

[286] إبن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ. 1، ص. 157.

3.4.4.2 علاقته بالادباء و الشعراء

للدولة الأيوبية فضل كبير في الأنتعاش الحضاري والتقدير للادباء والشعراء إلى أن وصلت الثقافة إلى أوج إزدهارها في زمن السلطان صلاح الدين، ولاشك ان الأدب في نموه يتأثر بالاحوال السياسة و الاجتماعية والبعد الحضاري هذا إلى جانب الصلات الثقافية وهجرة العقول إلى المنطقة كان له دوره في نبوغ و إزدهار التراث الادبي و الوصول إلى درجة عالية من العلم،[287] ومن جهته فان الإهتمام السلطان بالادب والشعر أهمية كبرى في النشاط الثقافي تخليدا لمأثرهم وكثرت الاشعار المديح وبالتالي توطيد العلاقات مع هؤلاء وتعزيز مكانتهم لديه، وابرهم شهرة القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني المتوفي سنة 596 هـ، الذي كان بارعا في الادب، ونتيجة لمرؤته وتمكنه قدمه السلطان على الاخرين حتى جعله كتابا ومستشيرا له،[288] ويقول المؤرخ إبن خلكان بانه أصبح ويزرا له، وله العديد من الكتب وله مكتبة ضخمة، ةولما توفي السلطان استمر في خدمة الدولة الأيوبية لدى إبناء السلطان [289]

وأشاد المؤرخون بالعلاقة الوطيدة بين السلطان والأديب ضياء الدين إبن الاثير الجزري ذلك الأديب المتوفي سنة 637 هـ، الذي كان من أبرز كتاب ذلك العصر واشهر الذين عنوا بالرسائل ذات الطابع الأدبي الميز وله تصانيف منها الوشي المرقوم[290] و المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر[291] و بعد مكوثه مدة مع صلاح الدين ذاع صيته و طلب الملك الافضل من أبيه أن يعيش إبن الأثير معه في بلاطه فخيرة السلطان بين الاقامة معه أومع إبنه فاختار الملك الافضل و أصبح وزيراً له أيضاً،[292] وكذلك الحال بالنسبة للأديب الشاعر الفقيه محمد بن علي بن يحيى القرشي المتوفي سنة 598هـ صاحب الأدب الرفيع و النظم المليح والخطب والرسائل و كان

---

[287] إبن خلدون، *المقدمة*، ص. 450.

[288] إبن قاضي، *طبقات الشافعية*، ص. 364.

[289] إبن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ. 2، ص. 333.

[290] إبن الصابوني، *تكملة اكمال الإكمال*، ص. 5.

[291] السيوطي، *بغية الرعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، جـ. 2، ص. 315.

[292] إبن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ. 5، ص. 25.

يمدح الناصر في أشعاره من ذلك التي قصيدته إلى أنشدها سنة 589هـ في حلب فعظمت منزلته عند صلاح الدين [293]

ولما عرف عن السلطان بمحبته للأدب والشعر دفع بالبعض منهم إلى الذهاب إليه منهم الأديب الشاعر عبدالله بن أسعد إبن الدهان الموصلي المتوفي سنة 581هـ الذي كان يعيش بحمص، فعندما دخل السلطان المدينة ذهب إليه الأديب للقائه فأكرمه وامتدحه الأديب بقصائده[294] وهذا يدلنا على ان شعر المديح كان غرضا بارزاً وفيراً في ذلك العصر وكان يعني بصفات الممدوح المادية و المعنوية و تقوم معاينة على المثل الخلقية و المزايا النفسية وسداد الرأي والحكمة، ويعزي كثرة شعر المدح إلى إهتمام السلطان والأمراء به .

وعلى الرغم من احترام السلطان للادباء ومنحهم امتيازات خاصة الا انه إذا عرف ما يدور في ذهنهم من الخطط نحو الاطماع الساسية أو محأولة الانقلاب عليه فكان من الطبيعي ان يحاول اخماده أو معاقبة هؤلاء، وهذا ما نلحظه من خلال الأديب المؤرخ نجم الدين بن عمارة بن علي اليمني الذي كان متضلعا في الادب و كان له كتاب النكت العصرية في اختبار الوزراء المصرية حيث كون علاقات طيبة مع السلطان في بداية الأمر فاكرمه السلطان، ومدحه الاديب في بعض من قصائده، إلا أن طمعه اي به إلى قول الشعر للكسب المادي من لدن السلطان من لدن السلطان الذي كان يشفق على حاله و لاسيما عندما القى الاديب قصيدة عنوانها شكاية المتظلم و نكاية الشام بالأمر الذي أثر في نفس السلطان و حسن حاله، الا انه استمر في متابعة مصالحه بان دخل في تنظيم سري مع ذوي النفوذ من البقايا الفاطمية وتأمروا عليه، بل و قاموا بمكاتبة الصليبين و استدعائهم إليه، الأمر الذي اغضب السلطان و معه فقهاء و وجهاء مصر فاجمعوا على قتله و حرضوا السلطان على ذلك فشنقه مع الاخرين من المتأمرين وهم قرابة ثمانين اشخاص و ذلك في سنة 569هـ بالقاهرة [295].

---

[293] إبن قاضي شهبة، *طبقات الشافعية*، ص. 372 والحنبلي، *شذرات الذهب*، ص. 337.

[294] إبن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ. 2 ،ص260.

[295] إبن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ. 3، ص. 109-110.

وكان للمدح النبوي وحب صلاح الدين لشعراء المدح النبوي حيز كبير في عهده بحيث لا يقع الباحث على ديوان من دواوين الشعر المنسوبة الى هذا العصر حتى يجد في اوله قصيدة في مدح رسول الله، وربما وجد فيه قصائد في مدح الخليفة العباسي لذلك الوقت، وقصائد اخرى كذلك في مدح نفر من مشهوري الفقهاء والمحدثين والمتصوفة ومن إليهم، ولعل من اشهر هؤلاء الشعراء اذ ذلك، الشاعر المعروف البوصيري وهو الشيخ شرف الدين ابو عبد الله بن سعيد المتوفي سنة 696هـ. وله قصيدتان رائعتان: قل في مصر حتى اليوم من لا يحفظ شيئاً منهما. وهما همزيته التي يقول في مطلعها:

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

وميميته المعروفة باسم "البردة" والتي مطلعها:

أمن تكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ثم كان من أثر العاطفة الدينية القوية التي ظهرت في أدب مصر الأيوبية خاصة تلك القصائد الرائعة التي قيلت في انتصارات المسلمين على الصليبيين وذلك في ايام مشهورة في تاريخ هذه الانتصارات على كثرتا ومن هذه الايام على سبيل المثال يوم القدس و يوم دمياط.

فأما يوم القدس فهو اليوم العظيم الذي ظفر فييه صلاح الدين بتلك الأمنية التي طالما تشوق الى النصر فيها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها، وهي امتلاك بيت المقدس. فامتلكوه من ايدي الفرنج بعد أن انتصروا عليهم انتصاراً تاريخياً بارهاً في واقعة "حطين" سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة للهجرة.

وازدحم الشعراء يومئذ على خيمة السلطان صلاح الدين، كل بقصيدته التي أعدها لهذا اليوم. وكان منهم إذ ذاك الشريف محمد بن اسمعيل بن علي الحسيني المعروف بالجوائي المصري، وهو نقيب الاشراف بالديار المصرية، أتى بنفسه إلى السلطان صلاح الدين ليلقي بين يديه قصيدته.

4.4.4.2 علاقته بالفقهاء

يتنوال الفقه المسائل الدينية كالفرائض والعبادات ومسائل الجنايات و الجرائم و ما تتبعها من الحدود والديات والمعاملات و شؤون القضاء والقوانين كل ذلك من خلال استنباط الاحكام الشعرية من ادلتها الأربعة من الكتاب والسنة و الإجماع والقياس،[296] ونجد من علماء الفقه من صارت لهم علاقة وطيدة بالسلطان و خدمة الدولة الأيوبية، كالفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري المتوفي سنة 585هـ الذي دخل أولا في خدمة أسد الدين شيركوه عم السلطان وقدم معه إلى مصر واسمر في أخذه الدروس الفقيه هناك حتى مالبث ان أصبح مرجعا فقيها للناس،[297] ومن ثم الدخول في خدمة السلطان وملازمته في كثير من الأوقات إلى ان صار من أبرز أمراء الدولة الأيوبية وكان من اقرب مستشار به وهذا و أكده المؤرخ إبن خلكان بقوله ان السلطان إعتمد عليه، ولم يكن يخرج عن رأيه وكان كثير الادلال عليه، يخاطبه بما لا يقدر عليه غير من الكلام، وكان واسطة خير الناس، نفع بجاهه خلقا كثيراً [298].

كما أن القاضي كمال الدين محمد بن علي الشهرزوري سنة 572هـ مقربا من السلطان وقد نهض بدور مهم في المجالات السابة في عهده وله مواقف جيدة معه، فعندما تولى صلاح الدين أمر البلاد كان كمال الدين قاضيا على دمشق واقره على ماكان عليه و اكدد عليه بان البلد بلده و يكم بما يراه صحيحاً [299] وبذلك وثق الروابط معه، وساند الشهرزوري السلطان من اجل الوحدة والعدل والوقوف بوجه السليبين، وكان القاضي موضع ثقة السلطان عندما طلب منه التوسط بينه و بين جمال الدين ريحان الذي اعتصم بقلعة دمشق سنة 570 و تمكن القاضي من اقناع المعتصمين و تسليم القلعة،[300] وكان إبن اخي القاضي المذكور ضياء الدين بن تاج الدين

---

[296] القنوجي، *أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم*، ص. 70.

[297] المنذري، *التكملة لوفيات النقلة*، جـ. 1، ص. 123.

[298] إبن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ. 3، ص. 165.

[299] الذهبي، *العبر في خبر من غبر*، جـ. 4، ص. 216.

[300] إبن واصل، *مفرج الكروب*، جـ. 2، ص. 20.

الشهرزوري المتوفي سنة 599 مقربا من السلطان، وقد قصده عندما كان بمصر واكرمه وإعتمد عليه ثم عاد معه إلى الشام وتولى قضاء دمشق بعد عمه كمال الدين السألف الذكر اكرامامن السلطان لعمه وليبقى القضاء في البيت الشهرزوري،[301] ومن هإذا يتبين لنا مدى عنايته بالبيوتات العلمية ومدى رعايته للاسر العريقة في القضاء والعلم

وقد إهتم السلطان بالفقيه ضياء الدين عثمان بن عيسى الهذباني الماراني صاحب كتاب الممهذب إلى تعلم اصول الفقه في أربيل على يد أبرز علمائها ثم انتقل إلى دمشق، ثم اتصل بالفقيه وفوض إليه قضاء بلاد مصر سنة 566هـ عندما كان السلطان وزيرا للفاطميين، وذها يدلنا على انه منذ وزراته يهتم بالفقهاء و يبحث عن اشخاص ذوى الكفاءة العلمية ليعينهم في هذا المنصب، حتى قيل عن القاضي بانه كان ينوب عن اعمال السلطان زمن وزارته بالقاهرة[302] ومنها اهتامه بالفقيه الزاهد ابى زكريا المغربي الذي زاره السلطان في مسجده بحلب ولقى منه من الحلم و الوقار واهتدى بسجاياه و ووصياه[303] ومن مشاهير الفقهاء ممن حظى باحترام و تقدير السلطان واجابة طلباتهم الفقيه نج المدين محمد بن الموفق الخبوشاني المتوفي سنة 587هـ حيث فوض إليه السلطان عمارة المدرسة المجأورة لضريح الإمام الشافعي و التدريس فيها أيضاً،[304] و بلغ تقديره للفقهاء انه كان يستحي منهم فلا يعز لهمم مناصبهم وحتى لو وجدت أسباب شرعية تحول دون توليهم القضاء كما حصل مع الفقيه شرف الدين عبدالله بن ابى عصرون المتوفي سنة 585هـ صاحب التصانيف،الذي عين قاضيا على سنجار و حران ومن ثم تولى قضاء دمشق سنة 573 هـ،[305] ولكن شاءت الاقدار ان عمى بصره الأمر الذي اصعب من مهمته كقاض، وعند

---

[301] إبن واصل، *مفرج الكروب*، جـ. جـ. 2، ص. 50.

[302] إبن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ. 2، ص. 406-407.

[303] العماد الأصفهاني، *الفتح القسي*، ص. 263.

[304] إبن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، جـ. 6، ص. 115.

[305] الذهبي، *العبر في خبر من غبر*، جـ. 3، ص. 90-91.

عودة السلطان من مصر إلى السام اشتكى الناس من القاضي من عنده لعدم تمكنه من تادية واجبه بذهاب بصره، فتربت السلطان للأمر احتراماو عرفانا للشيخ إلى ان اشار عليه القاضي الفاضل بان يفوض القضاء إلى إبن القاضي المذكور محى الدين الذي كان على طول الوقت مرافقاً الابيه وملازما له، وقد رضى السلطان بذلك بحيث لا يظهر للناس صرف أبيه عن القضاء بأن يتولى الإبن مكانه والذي استمر عليه حتى سنة 587هـ [306]

5.4.4.2 علاقته بالفلاسفة

إهتم السلطان صلاح الدين بالفلاسفة وأخذ بما لديهم من الافكار والمبادئ المتعمقة ومنهم سيث بن ابراهيم بن محمد القنأوى المتوفي سنة 599ه صاحب التصانيف البديعة، الذي كانت له علاقات مع السلطان وألف له كتابا فلسفيا سماه تهذيب ذهن الوعي في اصلاح الرعية والراعي واهداه له،[307] وإهتم السلطان أيضاً بالفيلسوف المصلح بهاء الدين قراقوش بن عبدالله الاسدي المتوفي سنة 597هـ بالقاهرة، الذي كان دائم التفاؤل ورجلا سعيدا في اموره و طروحاته وله عزيمة وهمة عالية و جميل النية و هو صاحب كتاب الفاشوش في احكام قراقوش الذي فيه الاحكام و الامثال كما أدخل فيه أيضاً اشياء يصعب و قوعها، فكان السلطان يقربه و يعتمد عليه في أحوال مملكته،[308] ومنهم الفيلسوف الطبيب اليهودى موسى بن ميمون القرطبي الذي كان رجل الدين يهودي ومن احبارهم في مصر، والذي كان له معرفة جيدة بالفلسفة، فعندما سافر إلى المغرب اسم هناك و دخل في خدمة السلطان وكان يستشيره في مسائل عدة، و كانت له كتب في مجالي الفلسفة و الطب منها كتابة مذهب اليهود [309].

---

[306] إبن واصل، *مفرج الكروب*، جـ. 2، ص. 51.

[307] الصفدي، *نكت الهميان في نكت العميان*، ص. 169.

[308] إبن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ. 3، ص. 254.

[309] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 582-583.

لكن بالرغم من العلاقة الجيدة بينه و بين الفلاسفة الا انه لم يكن راضيا باستهتارهم أو تهورهم في طروحاتهم و مناظراتهم و هذا مانلحظه من خلال العلاقة مع الفيلسوف الشهير عمر بن شهاب الدين السهروردي والذي كان بارعا في هذا المجال متمكنا منه،[310] وصاحب كتب منها هياكل النور و المطارحات،[311] وكان كثير من المناظرات والمجادلات مع الاخرين ولم يناظر أحدا الا هزمه، حتى قيل عنه بكونه عارفا بكثير من الامور، رغم ذلك كان مستهترا ومستهزئا بالعلماء و مزدريا لهم، حتى أثر على الملك الظاهر غازي صاحب حلب و إبن السلطان المر الذي اغضب العلماء والفقهاء لأنه كان يحاول عن طريق مناقشاته افساد الاخرين في أواخر عمره وربما كان ذلك نتيجة لمرض نفسي قد اصيب به مما اختل عقله، واشتكى الكثير منه لدى السلطان و بانه يبوح بكلمات قد يكون لها تاثير على عقيدة إبنه الملك الظاهر والاخرين، وبعد التاني والتقصي و خوفا منه أمر السلطان إبنه بقتله، إلا أن شهاب الدين السهروردي علم بذلك فانعزل بنفسه إلى مكان منفرد ومنع نفسه من الظعام والشراب إلى ان لقى حتفه سنة 586 هـ،[312].

وهذا الرأي ارجح من الرأي القائل بان الملك الظاهر غازي قد قتله،[313] لأن الظاهر قد اغضب على من افتو بقتله و قبض على جماعة من الذين حرضوا اباه السلطان على الخلاص من الفيلسوف، واعتقلهم و اهانهم ولأنهم كانوا السبب وراء انتحاره [314]

وفضلاً عن ذلك كانت للسلطان علاقات وطيدة بعلماء اخرين امثال عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله الغساني الأندلسي المتوقي سنة 602 هـ، الذي كان عالما بعلوم الكيمياء، حيث كان السلطان يحترمه و يمدح فضله و تمكنه من الكيمياء فضلاً عن

---

[310] اليافعي، *مرآة الجنان*، جـ. 3، ص. 329.

[311] الصفدي، *الوافي بالوفيات*، ص. 320.

[312] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 641-646.

[313] الذهبي، *العبرة*، جـ. 3، ص. 98.

[314] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، 644.

الطب والادب،[315] وأمين الدولة يحيى بن إسماعيل البياسي الذي تميز في علم الحساب والرياضيات، فضلاً عن الطب و كان له الات كثيرة تتعلق بالهندسة و الموسيقي، فكان صلاح الدين يبجله و يكرمه و يقرب إليه واطلق له الجامية وبقي مقيما بدمشق إلى ان وفاه الاجل [316].

[315]إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ص. 630.

[316] إبن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، 637.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي أرشدنا إلى دينه القويم ومنهجه الصحيح وصراطه المستقيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين إلى يوم الدين.

في خاتمة البحث توصلت إلى نتائج أدون بعضها فيما يلي :
إشتمال كثير من الكتب التاريخية والسير وغيرهما على شجاعة وسخاوة وعظمة ومجاهدة وعبادة وعلم وتقوى القائد صلاح الدين الأيوبي، يأتي هذا التدوين والتأليف من زاوية الإهتمام بهذا الشخص البارز من جميع النواحي البشرية النادرة.

إن الحديث عن العظماء لا ينتهي ولايمل من تكرار الحديث عنهم ومواقفهم الشجاعة والنبيلة شاهدة على مدى عظمتهم وكم تتمتع هذه العظمة من قيم وأخلاق حميدة أكرمهم الله بها، ليضعهم التاريخ في أبها وأجمل صوره. وهنا نحن عندما نستذكر هؤلاء الرجال ونذكر مناقبهم نحن نستذكر رجال قلوا في حياتنا.

ومن هؤلاء العظام وبكل فخر واعتزاز الذي وحد المسلمين في وقت كانوا فيها مشتتين ودحر الصليبيين عن بلادنا الإسلامية وقضى فيها على الفاطميين ورد بيت المقدس إلى المسلمين بتوفيق من الله قبل كل شيء الذي لن ينساه التاريخ أبدا ألا وهو السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي وكم نحن اليوم بأمس الحاجة لأن أقول له بل لامثاله لأن العيش على ذكرى القادة والفرسان النبلاء فقط دون أن نقتدي بهم ويقدم كل واحد منا مايستطيع لنصرة دينه وإحلال العدل والخير فهذا عندئذ عار سيطبع على جبين كل وأحد منا آمن بالله ورسوله وبرسالة ديننا السمحاء دين الإسلام دين السلام. نحن نستذكر هؤلاء الرجال لنشحن الهمم النائمة والتي تنتظر النصر ليأتي إليها دون أن تقدم شيء لتحقق هذا النصر العظيم، صلاح الدين الأيوبي هو الملك الناصر أبو المظفّر، أحد أعظم القادة في التاريخ، عمل على تأسيس الدولة الأيوبية التي عملت على توحيد الشام ومصر واليمن وتهامة والحجاز تحت ظلّ الراية العباسيّة بعد أن أجهز

على الدولة الفاطميّة، بالإضافة لهذا قام صلاح الدين الأيوبي بقيادة العديد من الحملات ضد الفرنجة والصليبيين، وقام بتحرير بيت المقدس ومساحات شاسعة من الصليبيين يعتبر صلاح الدين من أكثر الشخصيات احتراما وتقديرا عبر التاريخ في جميع أنحاء العالم، وقد كتب المؤرّخون الأوروبيون كثيراً عن بسالة وشجاعة الملك الناصر، ووقفوا طويلا أمام موقفه في حصار قلعة الكرك التي حظي بعدها صلاح الدّين باحترام وتقدير قلّ نظيره حتى من ألدّ خصومه كملك إنجلترا قلب الأسد ريتشارد الأول، حيث أصبح صلاح الدين بعدها رمزا من رموز الشجاعة والفروسيّة.

ونستنتج أخيراً من علمنا في هذا البحث 6 بنود هامة في نهاية بحثنا هذا و هي:

1- أثبت البحث ان السلطان صلاح الدين على الرغم من اشتهاره بحملات وحروب إلا انه لم يفعل الجانب الحضاري لبلاده لاسيما الجانب العلمي والثقافي والعسكري والإجتماعي والدّيني لبلاده ومواطنه من المسلمين وغير المسلمين.

2- إن جهود السلطان المجاهد صلاح الدين الأيوبي العلمية و الفكرية شجعت العلماء والمفكرين للوفود إلى بلاط وخدمة الدولة الأيوبية ونشر العلوم والمعارف في ربوعها.

3- إن الأعمال التي قام بها السلطان وإهتمامه بدور العلم والعلماء كان له انعكاسا إيجابيا على أفراد اسرته الذين سلكوا نهجه في تطوير العلم والإهتمام بالعماء

4- ان جهود السلطان صلاح الدين كان لها أثرا إيجابيا على العامة بدليل الإزدهار الذي عم كافة أرجاء البلاد في مجال المعرفة.

5- توصل البحث إلى أن رعاية السلطان لهذا الجانب أفسح المجال لنشر الكتب والتصانيف في مجالات شتى.

6- أدرك ان السلطان ان الوسيلة الأكثر أهمية لأنتعاش دولته إنما تتم عن طريق التعليم واتباع ايسر السبل في سبيلها والإهتمام بعلمائها ومفكريها من خلال تشجيعاته ومساعداته المستمرة لهم بحيث برزت مكانتهم في المجتمع ووصل البعض منهم إلي عليها في دولته.

قائمة المصادر والمراجع

إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،، بدون بيانات.

أحمد بدوي، الحياة العقلية بمصر والشام في مصر الحروب الصليبية، جامعة القاهرة، 1950.

أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة ـالطبعة الثانية 1420هـ، 1999م.

أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار الخطط المقريزية، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987.

أحمد بن فارس بن زكريّا أبي الحسين، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السّلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، الطبعة الثالثة، 1423 هـ - 2002م .

إسماعيل بن علي بن محمود أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ 1997م.

بهاء الدين أبو المحاسن إبن شداد، سيرة صلاح الدين الأيوبي المسمى بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية،، بدون تاريخ.

ترجمة منصور أبو الحسن، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، 1986.

تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بإبن النجار، شرح الكوكب المنير، تحقيق محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية 1418هـ 1997.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز ـ عأمر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، 1426 هـ/ 2005 م.

تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية،، دار صادر، بيروت بدون تاريخ.

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، تاريخ الخلفاء، الناشر: وزارة الأوقاف في قطر.

جمال علي الدهشان، تكافؤ الفرص التعليمية المفهوم ومظاهر التطبيق في عصور الإزدهار الإسلامي، مجلة العلوم النفسية والتربوية، كلية التربية جامعة المنوفية، السنة التاسعة، العدد الثالث، 1993م.

رياض مصطفى شاهين و رشاد عمر المدني، الأوقاف وأثرها على الحياة العلمية في بلاد الشام في العهد الأيوبي، الجامعة الاسلامية بغزة، 2006م، غزة.

زين الدين عمر بن مظفر الشهير بإبن الوردي، تاريخ إبن الوردي، دار الكتب العلمية 1417هـ - 1996م.

شفيق جحا، منير البعلبكي، بهيج عثمان، المصور في التاريخ، الجزء السادس، دار العلم للملايين، بيروت.

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ/ 1985 م.

شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر أبو العباس إبن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء إبناء الزمان، تحقيق :إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت، البطعة الأولى 1900م.

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، جزء17، تحقيق :محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، 1418هـ1997م.

شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان المقدسي أبو شامة،الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق :إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1422ه 2002م.

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، دار النشر :دار إحياء التراث - بيروت - 1420هـ -2000م، تحقيق :أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي.

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين، مقدمة إبن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، الطبعة الأولى 1425 – 2004م.

عبد الرحمن ذكي،بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية من تراث مصر العلمي في العصر المملوكي، مؤسسة شباب الإسكندرية الطبعة الأولى 1983.

عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، مطبعة الترقي، سنة 1948.

عبد القادر عبار، في مرآة الشعر الإسلامي المعاصر، بدون بيانات وتاريخ الطبع.

عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام2000.

عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول، دار الفكر العربي.

عبد الله صالح علوان، صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين، دار السلام – دمشق، الطبعة الأولى بدون تاريخ.

عبد المجيد بدوي، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الفكري حتى سقوط بغداد،.

عبد المجيد بدوي، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الفكري حتى سقوط بغداد، عالم المغرفة، سنة 1403هـ.

عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي أبو نصر السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري إبن الأثير،الكامل في التاريخ، بدون تاريخ.

علي بن أبي الكرم بن محمد المعروف بإبن الأثير الجزري الشيباني، التاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية بالموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة،الطبعة الأولى 1963م.

علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني أبو الحسن الملقب بإبن الأثير، الكامل في التاريخ،، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الثانية، 1415هـ.

علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، دار الكتاب العربي – بيروت، تحقيق : إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، 1405.

علي بن نايف الشحود، موسوعة البحوث والمقالات العلمية، ص1، بدون بيانات.

علي سالم النباهين، نظام التربية الإسلامية في زمن الدولة الأيوبية في مصر، دار الفكر، القاهرة الطبعة الأولى 1981.

علي محمد محمد، صلاح الدين الأيوبي محرر القدس ومزيل دولة العبيديين من مصر، مطبعة اقرأ، سنة 2006.

عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير،البداية والنهاية، تحقيق :عبدالله عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر – الجيزة، الطبعة الأولى 1417هـ - 1997 م.

العماد الكاتب الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق :محمد محمود صبح، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1424هـ - 2003م.

كامل جميل العسلي، "معاهد العلم في بيت المقدس"، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 1402هـ/1981م

كامل جميل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، جمعية عمال المطابع التعأونية، عمان، 1402هـ/1981م.

مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ت :مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة :الثامنة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426 هـ، 2005 م.

محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله إبن القيم الجوزية، الفوائد، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الثانية، 1393- 1973.

محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق :عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، 1403 - 1983

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين إبن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، بدون تاريخ.

محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر،الطبعة الأولى، سنة 2010.

محمد بن أحمد بن جير الكناني، تذكرة الأخبار في اتفاقات الأسفار، والمسمى رحلة إبن جبير، دار الشرق العربي، بيروت.

محمد بن أحمدإبن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، طبعة الكتبخانة الخديوية، الطبعة الأولى 1311هـ.

محمد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحيق : جمال الدين محمد الشيال، وزارة المعارف المصرية، القاهرة، 1952م.

محمد بن محمد بن حامد أبي عبد الله عماد الدين الأصفهاني، حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي،، دار المنار، بدون تاريخ.

محمد حافظ، تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي، دار بداية، الأردن، 2006 م.

محمد علي الهرفي، شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية، دار المعالم الثقافية، الأحساء.

مصطفى السقا، الحياة الأدبية في مدينة القاهرة، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مارس - ابريل 1969 .

موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي أبو العباس ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق :د .نزار رضا، النشر :دار مكتبة الحياة، بيروت.

نايف الشحوذ، موسوعة البحوث والمقالات، المكتبة الشاملة بدون تاريخ وبدون بيانات.

نعمان الطيب سليمان، منهج صلاح الدين الأيوبي في الحكم والقيادة، الطبعة الأولى، مطبعة الحسين الإسلامية .القاهرة، 1991، نقلاً عن خطط الشام.

ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

EKLER

Ek 1. Orijinallik Raporu

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

YÜKSEK LİSANS TEZ ÇALIŞMASI ORJİNALLİK RAPORU

ÖĞRENCİ BİLGİLERİ	
Adı-Soyadı	JASIM QASIM QADER QADER
Öğrenci Numarası	151211115
Enstitü Anabilim Dalı	Tarih/Ortaçağ
Programı	TARİH
Danışmanının Unvanı, Adı-Soyadı	Doç. Dr. Taner YILDIRIM
Tez Başlığı (Türkçe)	Selahaddin Eyyûbî Dönemi Bilimsel Faaliyetler

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜ'NE

Yukarıda başlığı belirtilen tez çalışmamın a) Kapak sayfası, b) Giriş, c) Ana bölümler ve d) Sonuç kısımlarından oluşan toplam ..... sayfalık kısmına ilişkin, .../...../..... tarihinde şahsım/tez danışmanım tarafından Turnitin adlı intihal tespit programından aşağıda belirtilen filtrelemeler uygulanarak alınmış olan orijinallik raporuna göre, tezimin benzerlik oranı % ....'tür.

Uygulanan filtrelemeler:

1- Kabul/Onay ve Bildirim sayfaları hariç,
2- Kaynakça hariç
3- Alıntılar hariç/dâhil
4- 5 kelimeden daha az örtüşme içeren metin kısımları hariç

Yukarıda bilgileri verilen öğrencinin doktora tezi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulu tarafından belirlenen azami benzerlik oranlarını aşmadığını ve tez çalışmamın herhangi bir intihal içermediğini; aksinin tespit edileceği muhtemel durumda doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi ve yukarıda vermiş olduğum bilgilerin doğru olduğunu beyan ederim.
Gereğini saygılarımla arz ederim.

Doç. Dr. Taner YILDIRIM
.....
Danışmanın Adı-Soyadı
(İmzası)

Prof. Dr. Ahmet AKSIN
.....
Anabilim Dalı Başkanı
(İmzası)

Lisansüstü tezler, savunma öncesinde **intihal program raporu** ile birlikte enstitüye teslim edilir.

İntihal raporu ile ilgili olarak etik kurallar dâhilindeki benzerlik oranları ilgili Enstitü Yönetim Kurulu tarafından belirlenir. (Enstitü Yönetim Kurulu tarafından tezin, intihal kapsamı dışında değerlendirilmesi için TURNITIN'den alınan raporda "benzerlik oranı"nın, "alıntılar hariç" en fazla **%10**, "alıntılar dâhil" **% 30'u** geçmemesi şeklinde kabul edilmiştir).

السيرة الذاتية.

اسمي جاسم قاسم قادر قادر، من مواليد مدينة اربيل 17- 10-1971 فى حي سيطاقان وسط مدينة درست الابتدائية فى المدرسة (بليسه) و أكملت المرحلة المتوسطة والإعدادية في مدرسة (الكفاح) و في السنة 1993 دخلت جامعة صلاح الدين، كلية الأداب، قسم التاريخ و انهيت الدراسة الجامعية في سنة 1997-1998 بتقدير جيد و في 1999 تزوجت و بعد ثلاثة عشرة سنة رزقنا الله تعالى بولد اسمه (محمد)..